نقطة الانفجار

اسم الرواية: **نقطة الانفجار**

اسم المؤلف: **راضي عبده**

تدقيق لغوي: **هدية علي**

تصميم الغلاف: **عبد الرحمن محمد**

إخراج داخلي: **ساندي شريف إبراهيم**

رقم الإيداع: **٢٢٥٤ /٢٠٢١**

الترقيم الدولي : **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٣٥**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.

وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

راضي عبده

نقطة الانفجار

مجموعة قصصية

إبهار
للنشر و التوزيع

﴿إهداء﴾

إلى روح أبي الروحي د/ نبيل فاروق..

كنت وستظل إنسان عظيم، وأديب قدير..

في جنة الخُلد بإذن الله أيُها الفارس النبيل ..

لن أقول وداعًا، بل إلى لقاء آخر يجمعنا عند شواطئ الأبدية..

أبدًا لن أنساك.

❋❋❋

﴿إهداء خاص جدًا﴾

*إلى أمي الحبيبة، أغلى ما في حياتي بلا مُنازع، أمي السامية فوق شغاف عرش قلبي، أمي التي في حضنها ربيع الحياة، وفي غيابها خريف الشقاء، أمي هبة السماء، وكفى بها نعمة من الله عز وجل.

*وإلى شريكة حياتي، زوجتي وحبيبتي، أم عيالي، ذات المعالي، تلك التي قد وهبتني حنان، وأمان الكون، ولم تتوانَ لحظة عن التضحية من أجلي، وتُكابد دائمًا حتى تُسعدني، ومن نبع حُبها الصافي الفياض أنهلُ بلا حساب.

*وإلى فلذَات كبدي، وتوائم روحي، أبنائي الوديعين

﴿لمار﴾ و﴿سيف﴾.

بتشريفهم الدنيا ملأوا حياتي بالغِبْطة والسرور، وشاطروا العشق اللا نهائي الكامن في قلبي لصغاري الغوالي

﴿رواء﴾ و﴿فارس﴾.

اللذان تغار منهُما الصبايا الحسان، فمن كفيهما يُنْثَرُ الحُب، وفي نور عينيهما تُرى الجِنَان.

مع خالص حُبي وامتناني .

***

نقطة الانفجار

هذا الكتاب يحوي نخبة منتقاة من صنوف القصة، لأدب الرعب والخيال العلمي، والاجتماعي، وحتى الرومانسي.
منها ما يتحدَّث عن الموت حيّا، والخوف من المجهول، ولهيب الانتقام المدمر..
وبعضها يُميط اللثام عن سرَ غُزاة المستقبل، والوباء الذي يهدِّد البشرية بالفناء..
وبعضها الآخر يجوب خلال العاطفة البشرية، فيطرق باب الحب والصداقة والوفاء، وحتى الخيانة..
بالإضافة إلى دراسات علميّة، تتضمّن قصة الكون، والليزر، ومرض الآلات العجيب..
وحكايات أخرى حافلة بالإثارة والتشويق..
تمحو الشعور بالملل..
وتجلب متعة وإبهارًا في آنٍ واحد!..
تعلق بالذاكرة طويلًا فلا تُنسى أبدًا.

القسم الآول

تصنيف: رعب

لعنة الدم

خيَّم الظلام الدَّامس على جميع أرجاء تلك القرية الصغيرة النائية الواقعة في أطراف صعيد مصر، وغرقت منازلها المحدودة في مستنقع من الصمت الرهيب، فبدت للمُراقِب عن كثبٍ وكأنها قبور للموتى؛ لولا تلك الأنفاس الحارة المتصاعدة من أجساد أحياء مكدودين غطُّوا في نومٍ عميق بعد يوم عمل طويل شاق في حقولهم التي أفنت الأجداد، ولا تزال تتحدى الأحفاد بالاندثار، وقد بادرت بأن نحتت على وجوههم بصمةً غائرة من العناء والإرهاق؛ لتُبرهِنَ على أنها الأبقى حتى يأتي الله بأمره، وفجأة تبدَّد الصمت البليغ مع تصاعُد نغمة رنين هاتف جوال يميز خاصية البريد الوارد، وكان مصدرها إحدى البيوت المتسربلة بالظلام والسكون التَّامَّين، فانتفض ذلك الشاب النائم فزعًا، ثم فركَ عينيه الضيقتين، ومسح على شعره المجعد، وهو يتمتم بكلمات ساخطة على من أبرق له تلك الرسالة، فهبَّ جالسًا على طرف فراشه والدهشة تعصف به، لتُذكِّرَه أنه غفلَ عن شحن بطارية جواله الفارغة تمامًا منذ مساء أمس، فكيف يتسنَّى أن تأتيه رسالةٌ ما عبر هاتفٍ بلا روح؟

كَبَحَ جماح تساؤلاته المنطقية، ومَدَّ يده يختطف هاتفه الخلوي من سطح الكومود، وضغط بسبابته ضغطتين متتابعتين فوق سطح شاشة

الهاتف لتفتح الرسالة، وبعينين مشدوهتين التَهَمَ فحواها وهو يزدرد لُعابه بصعوبةٍ ليُرطِّب حلقه الجاف، وبصره يحملق فوق حروفها القرمزية التي تقطر دمًا، وعندما لم يجد رقم المرسل بهتَ وهلةً، ثم تمالَكَ زِمام نفسه سريعًا، وهو يطلق سُبةً بذيئة من بين شفتيه اللتين شاركتا ملامح وجهه امتعاضًا قاسيًا، وغمغم بسخرية لاذعة:

- ما هذا الهراء السخيف الذي حَلَّ عليك أيها الهاتف اللعين؟

ضرب كفًّا بكفٍّ قبل أن يُطالع الرسالة مرة أخرى باستخفاف، وتمتم بصوت خافت:

- «هُبَّ من مرقدك أيها الفاني، وأنصتْ جيدًا لسيدك المتعالي».
- «هو قدر محتوم كعتمة الليالي، وسيصيبك باليتَ أم لم تُبالِ».
- «هي لعنة كل يوم تتوالى، وسُتراق لها الدماء كالنهر الجاري».
- «هل بعينيك الخلاص الآني؟ سيأتيك الجواب قبل الكابوس الثاني».

انتفض جسده بُرهة، ودبت في أوصاله قشعريرة باردة كالثلج، ثم لم يلبث أن حاول جاهدًا طرد تلك الهواجس المخيفة التي طرأت بفَلَك عقله، فاستخف بنفسه أن صدق للحظةً هذه الخزعبلات الخرقاء، وهو يطوح الهاتف بطول ذراعه غير مبالٍ بما قرأه، بعدها راح يُمني نفسه أن يذهب مرة أخرى في سُبَات يهرب خلفه من هذا الواقع المريض، وكأن شيئًا لم يكن، ولكن هيهات فعقله الباطن صوَّر له الأفاعيل حالكة السواد، حتى يسلخه من مرقده، ويُبدِّل ليله نهارًا، فخاض عقله اللا واعي معركة حامية الوطيس مع جسده المُنهَك

الراغب بشدة في طلب الراحة، وأوشك الصراع أن يرديه في أغوار الهلاك السحيقة، وهنا أبت نفسه أن تُذعن لعقله، فغمغم بالمعوذتين، والسبع آيات المنجيات؛ لكي يهدأ فكره المضطرم بنار القلق المستعر، وتفارقه تصوراته الخبيثة المستبدة فينام قرير العين، وبالفعل سكن عنه الاضطراب ما بقيَ له من ساعات الليل، بعدها امتدت نحو كتفه يدٌ أخذت تهزُّه برفق ومن خلفها تسلل إلى عقله صوت أنثوي ينادي قائلًا:

- « استيقظ يا ولدي، لقد أوشكت الشمس أن تصيب كَبِدَ السماء، وأنت ما زلت مستغرقًا في النوم.»

فتح عينيه ليُفيق من سُباته بانتفاضة عنيفة مدعمة بوجهٍ شاحب، فارتدت أمه للخلف مصعوقة وعيناها تتسعان في هلع من ردِّ فعله إِزاء هزتها الخفيفة، وتفجَّر الجزع في أنحاء حجرات قلبها الوَلِع عليه، فأخذت تتمتم بحيرة مشفقة:

- « بسم الله عليك يا قرة عيني ..ماذا دهاك يا حبيبي؟»

انتبه لخوف أمِّه فربت على كتفها ثم التقط كفَّيها وبثهما من قُبلاته البارة، وقال محاولًا أن يُهدِّئ من روعها بابتسامة هادئة:

- «خيرًا بإذن الله يا أمي الحبيبة، ما هي إلا أضغاث أحلام فارقتني بلمسة يديكِ الحانيتين».

بادلت ابتسامته بنظرة أمومة ربانية وهي ترفع يديها بالدعاء وقالت في خشوع:

- «حفظك الله من كل مكروه يصيبك يا صالح، فليس لي سند سواك يرعاني، وشقيقتيك الصغيرتين بعد الله عز وجل».

ثم مسحت على شعر رأسه بكفِّها قبل أن تحثه على مفارقة فراشه قائلةً بلهجة حازمة:

- «هيا يا ولدي كفاكَ كسلًا وخمولًا، فالحقل ينادي، ولولا مجهودك الشاقُّ به أمس لبادرت بأن أوقظك مبكرًا».

دارت على عقبيها لتغادر حُجرته وهى تردف قائلة في حسم:

- «سأصعد الآن لسطح المنزل لجلب بعض البيض، وبمجرد انتهائك من طقوس الحمام، سأكون قد فرغت من إعداد الطعام بإذن الله».

قالت عبارتها ثم انصرفت، بعدها لم يجد (صالح) بُدًّا أمامه سوى الإذعان لأمر والدته، فانسحب من فراشه برغم الأرق الذي انتابه وأقلق مضجعه، وخطى بتؤدةٍ لحمام بيته، وشرعَ في خلع ثيابه وهو يتثاءب بحدة، ومَدَّ قبضته ليُدير محبس الدُّشُّ فتحرر على إثر فعلته رذاذ المياه الدافئة وتصاعدت لزخات تناثرت على رأسه وانسابت من جسده العاري فوق أرضية الحمام، ومعها اتسعت عينا صالح من الدهشة، وهو يرى الأرضية وقد طُليت باللون الأحمر، فنبَش عقلَه منقبًا عن تفسير لما يحدث، لثوانٍ أوْعَزَ له تفكيره أنه من الجائز أن خزان المياه قد تسربت إليه كمية مخيفة من الطمي الأحمر والشوائب، ولكن سرعان ما وأد الفكرة في مهدها، وهو يبتلع بعفوية دفقة من المياه تسلَّلت لفمه، لم يستسِغ طعمها، وهنا اكتشف الحقيقة

المفزعة، فالماء ممزوج بالدماء، التي أخذت في التساقط كالأمطار لتلوث حائط الحمام وأرضية، فبهت صالح وهو يحدق ذاهلًا في أرجاء كفّيه وجسده، ليغَشَّاه الرُّعبُ حتى الإلجام مرادفًا لما أَلَمَّ به جراء ما حدث، فتمالَكَ رباط جأشه بصعوبةٍ، وهو يستند على حائط الحمام، ثم تلقائيًّا أغلق محبس المياه، وجفَّف جسده بمنشفة من فوق المشجب، وارتدي ملابسه علي عجلةٍ من أمره وهو يعدو باتجاه سطح المنزل، ونبضات قلبة تتسارَعُ إلى حَدٍّ قاتل، حتى كاد اضطرابه يلفظ قلبه خارج جسده، وهاجس مخيف يُراوِدُه ويطنُّ بفكره وكأن بداخله أسرابًا من الذباب، يتمحور حول أقرب مخلوقة في الوجود لقلبه (أمه)، ومع مشارف الدرج طالعه ذلك المشهد الفظيع، الذي يعجز القلم عن وصف مدى بشاعته، ومعه تجمَّد صالح في مكانه مصعوقًا وهو يفغر فاه من أثر الذهول، حتى كادت عيناه تخرجان من محجريهما خوفًا ورعبًا، وهما تُبصران أمَّه في لقطة خارقة لكل نواميس الكون، متجمدة في الفراغ في وضع معكوس قدماها في السماء، وعُنقها مقطوع الرأس ينزُّ دماء الحياة صوب كُوَّة خزان المياه المعدني المستندة إليه رأسها المبتورة، وعلى قَسَمات وجهها حُفرت أقسى علامات الذعر والفزع، وأعتاها، وتحت وطأة وقسوة ما يرى لم يستطع (صالح) أن يتمالك كيانه بعد أن فاقَ ما حدث كل طاقته على الاحتمال، فانثنت ساقاه ليسقط جاثيًا على ركبتيه، ووجهه يهوي على الدرج كالصخرة فاقدًا الإدراك، بعد أن اخترقت مسامعه قهقهةٌ مُخيفةٌ تردَّد صداها طويلًا لا يدري مصدرها، قَرَعَت أذنيه كدوي ألف

صفعةٍ؛ لتودي به إلى غياهب المجهول، أو حيثُ العدم، وهذا كان أبلغ وصفٍ يمكن أن يتصف به ذلك المكان الذي انتقل إليه بعد أن وجد نفسه في بُقعة مُوحشةٍ من اللا شيء؛ قفرٌ مُستوحشٌ يغَشاهُ غَسقٌ حالكٌ من كل صوب حتى أنه أبصر يدَه فلم يَرهَا، والعجيب أنه لم يرهب المكان على الإطلاق بل شَعرَ بأُلفةٍ غريبة تنتابُه فاستأنس الوَحْشِيَّ، والوحدة وكأنه قُدَّ منهما فأصبحتا مترادفتين له طِيلة حياته، فهو الذى لم يجالس الأقران قط، ولم يعرف للمحبوبة سبيلًا قط؛ لذا فعُزلته أمر اعتيادي أبَى ألا يفارقه، لذا كان واقعه أشد إيلامًا وغربة مما حاق به، ولهذا بتروٍ وبدون انزعاج ظَلَّ يدور حول نفسه، ليبحث عن مخرج من ذلك العدم السرمدي الأسود، ولكنه لم يجد مفرًّا حوله من كل الاتجاهات المعروفة، هذا لو أن للعدم اتجاهات أربعة كالتي نعتادها في عالمنا، فهناك لم يتلمس سوى فراغ لا نهائي لا فكاكَ منه، وبغتة نبتَ من قلب الظلام بصيصُ ضوءٍ ما لبث أن أصبح نقطةً مُضيئةً مُبهرة تعاظَمت حتى أوشكت أن تخطف بصره، لتستقر تلك النقطة على هيئة قبة دائرية عظيمة من ضوء ساطع يُغشي الأبصار، فاضطربت رؤيته بشدةٍ، وبحركة غريزية وضع يده بسرعةٍ على عينيه؛ ليقيهما الضوء المباشر، ومع ثبات الضوء وشعوره بأنه تكيَّف على وضعه الجديد أزاحَ راحتيه عن عينيه ليُبصر ذلك الحدث الخارق للمألوف، وعلى عكس كل قواعد الفيزياء المعروفة، تكوَّن في قلب قوس الضوء حيِّزٌ على هيئة مربع مُتشَّح بالسواد..

ورويدًا رويدًا بدت ملامح هذا الحيز تتشكل لتتضح على هيئة حجرة حددت تفاصيلها نارٌ متأججة بلهب مُتَّقد في مِلاط الحجرة الأدكِن فجعله يقطر بازلتًا فاحمًا كحُمم البركان المستعر، وعلى جدرانها تراقصت ظلال سوداء كثيفة لها تكوين شيطاني بشع أشبه بصور السيلويت القاتمة، مع ظهور ذلك الشخص الذي توسَّط وتوسَّد أرض المكان، والذي كان يرتدي زيًّا كاملًا بلون أَحْمَرُ قَانٍ كالدم، في وضعية النائم منتصب اليدين والقدمين على هيئة نجمة خماسية مرسومة على الأرضية، وبجواره فوق منضدة مستديرة يرقد شمعدان ثُماني ضخم تشتعل فيه ثماني شمعات سوداء، ومن مثيلاتها نفسها اصطفت شموع مضيئة حول الجسد الساكن تحدُّه من كل صوب، لتضيف على الحجرة رهبةً تقشعر من هولها الأبدان، وعند هذا الحدِّ بدت الحجرة مألوفة لـ (صالح) بعد أن تيقن من معرفة ذلك الشخص الذي كان تحديدًا والده الراحل، الذي كان في تلك الأثناء يتمتم ويهذي بتعاويذ وطلاسم غير مفهومة، بلغة غير معروفة وجسده ينتفض بقوة، وهنا تحركت فطرته الغريزية تجاه أبيه الذي لم يرَه قط في حياته سوى في الصور الفوتوغرافية، فحاول جاهدًا أن ينتزع قدميه من تيبَّسِهما، ولكنها أبت أن تُذعن لإرادته فعجز أن يتحرك عن مكانه قيد أنملة.. بل حتى إنه شعر بأن هناك حاجزًا غير مرئي يحول بينه وبين أن يمد يديه حتى المنتهى، وحبس صوته في حلقه الجاف فلم يستطع أن ينادى والده، وكأن دوره هنا لا يتعدى كونه مراقبًا فقط، فطالع تلك اللحظات العصيبة بعينين مشدوهتين ووالده يرتجف، وينتفض بعنف

أشد ألف مرة مما كان، وكأن جسده تحوَّل إلى مرجل يغلي فيه الماء من شدة لَظَّى النار، وفي تلك الأثناء صرخ والده بتعويذة أخذت كل مخزون صدره من أنفاس، انشق على إثرها فراغ الحجرة، وكأن سيفًا ماضيًا قد اخترقها صانعًا قوسًا من النار، أزاح السِّتار عن عالم رهيب مخيف تتصاعد منه هالاتُ الجحيم، وتهبُّ منه لفحات من سموم، ومن داخل القوس انطلقت هالة من نار بشكل حلزوني مخيف مصدره فحيح مرعب، ووهجٌ لا تخطئه العين باتجاه (صالح) الذي بوغت بهذا الفعل؛ فشعر بالدماء تكاد تتجمَّد في عروقه، ومع شعوره بالخطر يدنو منه بسرعة البرق، وبغريزة التعلّق بالحياة أحنى رأسه في اللحظة الأخيرة، فتجاوزته الهالة بعد أن احتكت بشعره فأضرمت فيه النار، وبجزعٍ أخذ يُطفئ النيران الناشبة بشعره وقد أخذَ الرعبُّ منه مبلغًا، وفي غمرات انشغال (صالح) بإخماد النيران لم ينتبه لتلك الهالة الأخرى التي تهيأت للخروج من القوس مُنذرة بهلاكه، لكن مِن حُسن طالعه أن حجبها بجسده ذلك المخلوق البشع المخيف بعينيه المتقدتين بجمرتين من نار، ورأسه المفلطح الذي يبرز منه قرنان أسودان ملتويان، وذيله الذي تراقص خلفة كأفعوان أرقْط، وفي نفس اللحظة مع تصاعد ارتجافة جسد والد (صالح) تهيأ المخلوق لعبور الفجوة بأن مَدَّ رأسه ليخترق عالمنا مُتوعِّده بالويل، والثُّبور، وعظائم الأمور..

– « استيقظْ ...استيقظْ يا (صالح) كفاني دموعًا ذرفتها اليوم. »

هنا شعر بتلك الهزة العنيفة تؤازرها هذه العبارة الجذعة التي اخترقت أذنيه فسلبته من الكابوس الرهيب الذي كان يجثم على صدره حتى كاد يفتك به، فشهق بقوةٍ وهو ينتفض مع تَنَاهَى تنهيدة ارتياح إلى مسامعه حملت زفير شقيقته الوسطى، فتح عينيه ليجد نفسه فوق فراشه، وهى تجفف عرقه الغزير الذي تصبَّب على قسمات وجهه، فقال لها محاولًا بثَّ الطمأنينة إلى فؤادها المُلتاع:

- «لا،لا.. لا تجزعي يا (صباح) فبفضلك حَلَّ عن سمائي كابوس مخيف، عاصرت فيه كل صنوف الرعب، وكدت أهلكُ في المنتهى، لولا أن فارقته في الوقت المناسب».

بلغت أنفاسه رائحة شِيَاط كريهة، فهبَّ بتلقائية بوضع يده فوق رأسه، فتسمرت راحته في موضعها وقد بدا عليه الانزعاج بعد تأكُّده أن شعره مصدر تلك الرائحة، فصرخ كمن لدغَه عقرب سام:

- « يا لَلْهول! هل ما عاصرته كان واقعًا أم كابوسًا لعينًا؟».

ضرب أخماسًا بأسداس لعله يصل لتفسير منطقي لما حدث، ولكن دون جدوى، ففيروس الحيرة أصاب عقله بالشلل، فلم يعد يدري أهو لا يزال يحيا واقعه، أم دارت رَحى الكابوس على واقعه؟ فامتزج بالخيال، شعر أن عقله يكاد يذوب داخل جمجمته، وزاد الطين بلة أن جالت في خاطره صورة أمه، تذكَّر مصيرها وما حدث لها بفعل قوى شَرٍّ خارقة، فندَّت من عينيه دمعة سرعان ما انساب على إثرها شلال من دموع حارة حملت كل ما تموج به نفسه من انفعالات الحب الجارف، فاستطرد مغمغمًا وهو يجهش بالبكاء:

- « فليتغمدك الله برحمته يا أمي الحبيبة ...ما أقسى غيابك، وما أشقاني وأتعسني بعد رحيلك! »

هتفت به (صباح) في لوعة:

- « لقد كدتُ أُجنُّ يا (صالح) لما حاق بأمِّنا من هلاك، ولم أستطع أن أجد تفسيرًا لما حدث بعد أن وجدتك فاقدًا للوعي عند نهاية الدرج بجوار جثتها المفصولة عن رأسها.

التقط (صالح) أنفاسه بصعوبةٍ وهو يقول لها من وسط دموعه:

- « هو بالفعل أمر ملعون، ولكن العجيب في كونه اختار عائلتنا دون سواها من البشر ».

ربتت (صباح) على صدره بحنوٍّ بالغ، ثم ضمَّت يده برفق لتحثه على تبديد أحزانه، واستعادة روحه الصافية، وعزيمته الصلبة التي لا تلين، فارتدت قِناعَ التَّماسُك والصلابة أمامه، وهي تقول له بثباتٍ مُصطنع:

- «هوِّن عليك يا أخي، فما حدثَ كان قدرًا لم يكن لنا بُدٌّ منه».

من قلب الكمد الذي ملأ كيانه فاستحوذ عليه، وجد بارقة تفاؤل تساءل عنها قائلًا:

- « كيف حال (صفية) هل علمت بما حدث لأمها؟ ».

أطرقت برأسها وهي تُجيبه بحروف تقطر مرارةً:

- « لم أشأ أن أخبرها بشيء قبل ذهابها للهو مع رفاقها، فهي صغيرة ولا تقدر على تحمُّل تلك الفاجعة، فقد جئتُ بك من فوق الدرج حتى فراشك، وأوصدت باب السطح جيدًا حتى لا

يتسنى لها رؤية أمها على هذه الحالة، ثم أخبرتها أنها سافرت لعائلتها في الزقازيق، وستعود بعد حين».

قالت عبارتها الأخيرة، ثم اعتدلت واقفة، واستدارت بوجهها تُجفِّفُ دموع الكسرة والحسرة التي خانتاها بعد أن قاومتها طويلًا أمام شقيقها المنهار، فتهيأت لمغادرة الحجرة وهى تشير له قائلة بحماسة زائفة:

– «هيا يا (صالح) انهض لنواري الثرى جثة أمنا الراحلة».

في تلك الأثناء لكي تحثه (صباح) على الانضمام إليها، ضغطت بعفوية على زر إيقاف مروحة السقف التي كانت تلطف أجواء القيظ الشديد الذي يعيشون فيه، ومن سوء طالعها أنها أقدمت على هذا الفعل، لأنه في تلك اللحظة وعلى خلاف كل القواعد العلمية بدلًا من أن تبطئ المروحة من سرعتها تدريجيًّا حتى تصل لحد التوقف التام، دارت عكس اتجاهها صوب اليمين، لتتحول تحت وطأة فعل شيطاني شرير لشفاطٍ قوى، تسارَعَ دورانُه بشدة حتى أصبح كإعصار مُهلك، انبثقت منه دوامةٌ رهيبةٌ أخذت في الدوران بسرعة لتبتلع كل الأهداف التي تقع في نطاقها، والعجيب أنها لم تختَر سوى (صباح) تلك الضحية التي وجدت نفسها بفعلٍ خارق للطبيعة تُحلِّق صوب مروحة السقف بسرعة خاطفة لم يستطع (صالح) حتى مع انتباهه ورد فعله السريع أن يحول بينها وبين مصيرها المحتوم الذي حاق بها، لتلتهمها المروحة كوحشٍ عملاق شَرِهٍ بسرعة البرق، فقطعتها إربًا في غضون لمحة هي للموت قرين، وخلال ثانية واحدة تحوَّل الجسد الذى كانت تنبض عروقه بالحياة إلى فُتات متناثر من ذرات اللحم المفري، والدم البشري

الذي أخذ في الهطول كالمطر فوق رأس (صالح) الذي اتسعت عيناه من الفزع، فأخذ يصرخ من أعماق جوفه صرخة بلغت عنان السماء، حتى كادت حنجرته تُجتث من عنقه من هول ما يُعاصر، وهنا ظهرت جدران الحجرة وكأن مِلاطها قُدَّ من الدم الأحمر القاني الذي سرعان ما تقطر منها، وسالَ على أرضيتها الملساء، وبدا وكأن الدم فقد أهم خواصَّه، وهي اللزوجة حيث انساب متدفقًا من كل اتجاه بالحجرة لينصب متجمعًا من تشتته في نقطة محددة، عندها حدث ذلك التحوُّل المدهش حيث تحور الدم كالحرباء فتأزر وتكاثف حتى تشكَّل على هيئة لا تمتُّ إلى مخلوقات كوكب الأرض بصلة، هيئة هي لـ (ليموناي) أقرب تلك الحية الرقطاء التي كانت تحرس أبواب الجنة، والتي سمحت لإبليس بالعبور لآدم لإغوائه، فأنزلها الله إلى الأرض، فأعلنت عصيانها، وانضمَّت إلى حلف إبليس اللعين!

ومع تشكُّل الدماء على صورة (ليموناي) ارتفعت الحية واسْتَطَالَت بجسدها الأَرْقَشُ حتى ارتقت مُحلِّقة فوق جسد (صالح) المبهوت، واستعدت لاقتناصه بفعل مذهل للغاية، عندها انفجرت بدويٍّ مكتوم فتناثر كيانُها ببركان من الدم فوق ناصيته الفاقدة للحركة ولو حتى قيد أنملة، فغمرته الدماء الغزيرة بلا هوادة أو رحمة، عندها أيقن أن اللعنة قد حققت مأربها الثاني قبل الأخير، ببصمة موت شنيعة تطابق سابقتها مع اختلاف الحدث وائتلاف الهدف، وهنا دوَّى في أذنيه نصُّ الرسالة الهاتفية، وتوقَّف بفكره طويلًا عند شطرها الرابع، لترتجف أوصاله بعد أن واتاه الجواب المفزع وعرف فحوى تلك الرسالة الملعونة.

إن السر يكمن في عينيه اللتين أصبحتا بوابة المرور لأهداف اللعنة، ما إن تتجلى على أحد من أسرته، حتى تكون نهايته بأبشع وسيلة فتك ما لها من رادٍّ. هذا ما دار في خلايا عقله الرمادية قبل ثانية واحدة من فَقْدِه حواسَّ الإدراك، مع طنين رهيب لضحكة لها صدى مرعب مبعثُها قاع الجحيم جلجلت في الأجواء، فهوى بجسده دواليك في هوة عميقة ما لها من قرار، وغاص بكيانه كله في جوف كابوسه البَشِع الذي جاء بحذافيره مرةً أخرى، ليرى بأمِّ عينيه الهول يتجسد بأبشع آيات الرعب المُجسَّم، عندما برزت رأس المسخ البشع داخل فراغ حجرة والده المحتقن وجهه بشدة مترقبًا اللحظة التالية التي سيعبر فيها المسخ المخيف للثغرة، ولكن فجأة طرأ دخيل على المشهد أرْبَكَ بشدة كل الحسابات الموضوعة، وعكس كل النتائج المرجوة بضغطة زرٍّ واحدة، ففي تلك اللحظة دلفت أمه إلى الحجرة وضغطت زِرَّ الإضاءة ثم شهقت بقوة من الفزع لما تراءى لها من مشهد مخيف، وجحظت عيناها من شدة الرعب مع تبدُّد ظلام الحجرة ليحدث على إثر فعلتها التلقائية ما اتسعت له عينا صالح المشدوهتان، عندها تسمَّر المشهد كله قبل أن تنقبض عروق والده ثم تنبسط مع فوران دمائه بداخلها، وسرعان ما انبثقت بقوة كالنافورة من شتي أرجاء جسده لتصنع حول جسده بِركة من الدم الحار، فصرخ (صالح) بكل رعب الدنيا صرخة مكتومة لم تفارق حلقه المتحشرج، مع حدوث تلك الفرقعة المخيفة التي انكمشت الفجوة على إثرها والتي حاول معها المسخ أن يتراجع لينجو برأسه، ولكن لم يكن رد فعله كافيًا للنجاة، ففي جزء من الثانية

تلاشت الفجوة تاركة خلفها رأسه التي بُتِرَ، وكأن مقصلة ماضية هوت عليها لينهمر منه سائل أسود لزج كالحُمم سرعان ما امتزج مع بركة دم والده الصريع، ليمتلئ المشهد كله باللون الأحمر، وهنا حال حلق (صالح) الجاف بينه وبين أن يتفوَّه بحرف واحدة، ولكن مِن دهشته أن جاوبته تلك الصرخات الطفولية المذعورة المتقطعة التي اخترفت أذنيه لتنتشله بحدة من كابوسه الفظيع، صرخات شقيقته الصغرى ذات الأربع سنوات آخر العنقود (صفية)

وكرد فعل لا إرادي فتح عينيه ليرمقها بنظرة خاطفة، وليته ما فعل، هو ذاته عرف فداحة ما بدر منه، فبالرغم من سرعة انطباق جفونه على عينيه، فإن فعله لم يَعُد يُجدي، فهي لمحة ليس لها من رادٍّ، على إثرها يحيق الهلاك بمن أصابته سهم النظرة، لذا فقد توترت أعصاب (صالح) وتضاعَفَ انزعاجه على صغيرته إلى حدٍّ مخيف، فامتقع وجهه، وماج عقله بمخاوف عدة، وحارَ في مخرج يقيها الخطر المحدق بها، ومع تدفق الأدرينالين في عروقه برقت في عقله فكرة شيطانية مفزعة، وضعها بسرعة موضع التنفيذ لعلها تنجي صغيرته من الهلاك، هكذا خيَّل له عقله وهو يشرع في تنفيذ ما عزمَ عليه، لذا بإرادة فولاذية أخذ يغرس أظافره في محجر عينيه ليجتثهما من جذورهما، وهو يطلق صرخة رعب هائلة زلزلت كيانه كله، وجسده يتلوى بآلام رهيبة تغزو مفاصله، وتنتشر كالنار في شتى أرجاء جلده، فتكويه بنار العذاب حتى أطلق تلك الصرخة الرهيبة، التي جندلت البقية الباقية من عزيمته، فتصبَّب عرقًا باردًا بعد أن حاز على عينية لتقبعا مستقرتين بين

يديه، تنزُّ منهما دماؤهما وتقطر على فراشه مخلفة بين جفنيه تجويف أسود فارغ، سوى من دماء قاتمة حاول جاهدًا أن يمنع تدفقها، وبرغم المصير البشع الذي جناه بيديه كان القادم أسوأ بمراحل مما كان يظنُّ، لأن في اللحظة التالية لم يعد بإمكانه أن يبصر الهول الذي حاق بشقيقته، التي شحب وجهها مع رؤيتها لتلك الظاهرة الرهيبة التي اتسعت لها عيناها عن آخرهما من فرط الذهول، وارتعدت لها فرائصها الضئيلة مع رؤيتها لأحد جُدْران الحجرة وهى ترتجُّ بقوة زلزال هائل مدمر، فبدا وكأن معاول الهدم تحاول أن تخترق الجدار بقوة من الجهة المُقابلة، عندها ظَهَرَ ذلك الثقب الصغير في منتصف الجدار، الذي سرعان ما تحوَّل إلى كُوَّة محدودة، تلفظ سوادًا مُطبِقًا ،فظهر على عيني (صفية) الرعب في أقسى صوره، وانبثقت من حلقها شهقة فزع هائلة مع بروز ذلك الجعران الفرعوني الأسود من الكوة، وكالسهم الخاطف اخترق الفراغ صوب فمها المشدوه فاخترقه وغاص داخل أحشائها الضعيفة، فارتجفَ بطنُها بعنفٍ حتى كاد من شدة اضطرابها أن ينخلع قلبُها الصغير من بين جَوانحها، وضاقَ صدرُها حين انبعثت من حَلقِها حشرجات مخيفة تكوي القلوب المتحجرة، مع تلوي خصرها من الآلام وانتفاخ ظهر بجلاءٍ في بطنها إثر حقيقة مفزعة، أن الجعران يتكاثر بسرعة، مع تزايُد تموجات شملت أنحاء جسدها كافة حتى انتفخت بطنها ومن ثم تضاعف الانتفاخ بشدة، وكالمنطاد المثقوب انفجرت بقوة، وبكل بشاعة تمزق جسدها لفتات تناثر أشلاء على وجه (صالح) لتغمر دماؤها جسدَه

حتى ألجمته، لذا لم يستطع أن يتفوَّه ببنت شفة، مع تجمُّد الصرخات على أعتاب شفتيه من هول ما حدث، وجسده يصرخ بآلام لا مثيل لها في الكون، ومع الظلام الأبدي الذي اختاره بيديه هاج غبار كثيف، وماج في مخيلته لتنتج عنه دوامة من ألوان الطيف القزحي أخذت في التَّشكُّل بأشكال مخيفة، سرعان ما استقرت على صورة والده الراحل وهو يتسربل بالظلام، فلم يظهر منه سوى وجهه، الذي اضطربت قَسَماتُهُ بشدةٍ وهو يهتف بكلماتٍ تقطرُ أسًى:

- « سامحني يا بني فهذا جَنَتْهُ يدي، ولولا خطيئتي ما حدثت لكما تلك الفواجع، ولا أصابكم الهلاك».

هتفت به مُخَيِّلَةُ (صالح) متسائلة بصوت مرتجف :

- « لماذا كل هذا يا أبي؟ ماذا جنيتَ لحالك حتى تُصيبنا تلك اللعنة دون سوانا؟ ولِمَ؟ »

قاطعه والده في حزمٍ :

- « لم تعد المعرفة تُجدي بشيء يا ولدي، فهي لن تُعيد ما قد مضى. »

ثم استطرد في حسم :

- « والآن لا بد أن تنجو بحياتك قبل فوات الأوان».

عندها بدأت صورة والده تعاني اضطرابًا عنيفًا داخل ذهنه، حتى باتت في طريقها للتشتت، وكان ذلك واضحًا في نبرة صوته الضعيفة، وهو يُغمغم بصرامةٍ خذلته فجاءت خافتةً :

– « هيا بسرعة اهبِطْ حيث حجرتي اللعينة، وأعد الكرة بتلك التعويذة التي فيها الخلاص. »

أخذ يُخبره بطلاسم عجيبة لم يفقه منها شيئًا، ولكنه بغرابة وجدها وقد نُقشت داخل ذاكرته وكأنها خُلقت معه، ثم بعدها تبدَّدت صورة والده من ذهنه، وتركته خلفها كالميت الحي، مُنهك الخلايا مُجندل العزيمة، لذا واتاه الفكر كثرًا للاستسلام لمصيره، ولكنه بغرابة شديدة كمسلوب الإرادة وجد نفسه مكرهًا ينقاد خلف نصائح والده الأخيرة، فهبَّ من مرقده بسرعة وتحسَّس خُطاه، وهو يهبط الدرج حيث حجرة والده العتيقة، ثم فتح بابها الذي لم يُفتح منذ أمد بعيد، فأطلق الباب صريرًا مخيفًا معلنًا اعتراضه على مَن أيقظه من سباته العميق، ولم يكد يخطو خطواته الأولى بداخل الحجرة الكئيبة، حتى فوجئ بلفحة ريح خبيثة كأنها قادمة من أغوار قبر يعجُّ بالجثث المتحللة، فبسمل وحوقل وهو يلهث في عنفٍ بجسدٍ مكدود، وبخطًى متئدة تقدَّم حتى منتصف الحجرة، فتحسَّس أرضيتها فبهت وأنامله تخبره أنها تتلمس نجمة خماسية، حفرت في الأرض مسافة عميقة كأخدود غائر ما له من قرار، تتصاعد منها حرارة تكوي الأجساد، فانتفض جسده بقوة وهَمَّ بالانسحاب، ولكن نصيحة والده ترددت في أعماقه بقوة..

– « فاصدع بالتعويذة يا بني فبها الخلاص. »

عنها وبعزيمة الرجال تمدَّد بجسده داخل حدود النجمة الخماسية، وطَفِقَ يُردِّد بحروف مضطربة تلك التعويذة الغامضة، التي حفظها عن ظهر قلب، ومع تصاعُد تراتيل التعويذة حدثت ذبذبة قوية في فراغ

الحجرة تخلخل على إثرها الهواء متوافقًا مع فرقعة مدوية كشفت عن نفس الفجوة المخيفة التي تتصاعد منها الصواعق النارية، فبدت قطعة من الجحيم ذاته، ومن قلب اللظى برز وجه والده الساحر وسرعان ما اخترقت صورته مُخيلة(صالح) الذي بُهِتَ من فعل والده وهو يضحك بكل شماتة، وسُخرية الدنيا مع تحوُّر ملامحه داخل ذهنه لتستقر مُتخذة هيئة مسخ بَشِع الخِلقة، هو ذاته ما بدا بوضوح داخل القوس، مسخ ينطق بالشَّرِّ في أحلك رداء، لم يكد يتشكل في ذهن صالح حتى غمغم بفم ملأه الرعب:

– «رُحماك يا إلهي! مَن أنت أيها المسخ اللعين؟»

ارتفعت حدة قهقهة المسخ من سذاجة صالح؛ لا نطلاء الخدعة الجهنمية عليه، فصارت هيئته مُجسِّمة للشر الخالص حتى أن (ست) إله الشر والعواصف عند المصريين القدماء كان سيغبطُه حتمًا لو رآه على تلك الهيئة، وبعينين حمراوين تشتعلان بوهجٍ رهيب كجمرتين من لهب صرخ فيه بحروف مقتضبة تقطر وحشية:

– «ألا تدري من أنا بحق أيها التعس الفانِ؟ »

أصدر المسخ زمجرة مخيفة من شدتها كادت تصمُّ الآذان، وهو يستطرد في مقت بلغ المنتهى:

– «أنا مبعوث الجحيم (سيتان)، ومن أجل هلاك ولدي ستتجرع العذاب ألوانًا.

عندها وجد (صالح) جسده يرتفع في الفراغ بقوة خارقة ثم يطير باتجاه الفجوة، فتلقفه (سيتان) وألقاهُ بداخلها بكل عنفٍ وشراسة وهو يقهقه

في ظفرٍ بعد أن حصل على غنيمته الأخيرة، بعدها استدار فتطايرت حرملته النارية خلفه كإعصار مُدمِّر، وهنا تلاشت الفجوة تمامًا، فأسدل الظلام أستاره، ثم أَطْبَقَ الجحيم فكَّيه.

رجفة الخوف

خلت الشوارع أو كادت من المارة في تلك الساعة المُتأخرة من الليل، وبدا ذلك الشخص النحيل طويل القامة، الذي تشي ملامحه بالصرامة والقسوة، بوجه يغزوه نمش غزير، وذو ندبة طولية في صدغه الأيسر، وشعر أصهب معقود خلف عنقه برباط مطاطي، غادر ذلك الملهى الليلي الوضيع الذي تصدر منه أصوات صاخبة، وسار في خطوات أقرب للعدو حتى وصل لسيارته الفارهة فاستقلها ثم انطلق بها دون إبطاء حتى أن صرير إطارات السيارة كان يُسمع من بعيد، أخرج لفافة بانجو أشعلها وراح يُدخنها في شراهة قوية، وأخذ يسعل كل حين وآخر قبل أن تأخذه النشوة فدندن بصوته الأجش الغليظ نفس الكلمات النشاز المُنبعثة من كاسيت السيارة للون غنائي انتشر في الآونة الأخيرة انتشار النار في الهشيم، يسمونه المُتحذلقون المُهمشون مهرجانات شعبية..

لم يكد يصل إلى وجهته حتى أوقف سيارته أمام بناية فاخرة شاهقة الارتفاع، نفث آخر دخان اللفافة ثم غادر السيارة في عجالة، وانطلق يحجل نحو البناية بزهو شديد، وفي طريقه رمق حارس البناية العجوز الذي يرقد مستلقيًا بجوار المدخل يلتحف بعباءة صوف، يتقي بها البَرد القارس، تتردَّد أنفاسه في صدره الذي يرتفع وينخفض بشخير

مزعج، لم يكترث له واتجه مباشرة إلى المصعد واستقله نحو الطابق العاشر، وهناك غادر المصعد وتوقف لحظة في ممر الطابق، وضاقت حدقتاه وهو يتلفت حوله وبصره يدور في حذر وإمعان، وأمام باب الشقة الوحيدة في الطابق أخرج من الجيب الداخلي لمعطفه الجلدي زوجًا من القفازات الجراحية المطاطية، وسلكًا رفيعًا بنهاية معقوفة، تقفَّز ثم دس السلك الخاص في ثقب المفتاح، وراح يحركه يمينًا ويسارًا في مهارة حتى صك سمعه صوت لسان الرتاج ينزلق إلى الداخل، فابتسم لتلتمع عيناه في خيلاء، قبل أن يدفع الباب في حرص ويدلف في سرعة إلى داخل ردهة الشقة، ثم أغلق الباب خلفه في هدوء، لتبلغ مسامعه موسيقى إيقاعية مُجلجلة تردد صداها في جنبات الشقة تنبعث من داخل حجرة النوم، تُصاحبها ضحكات أنثوية رقيعة، وتحت الأضواء الخافتة للردهة استغرق بعض الوقت في تفكير عميق، ثم ضرب قبضته في راحته، وبرقت عيناه وهو يلمح تمثالًا ثقيلًا من البرونز على منضدة مُذهبة، رفعه عاليًا وهوى به ليسقط مرتطمًا بالأرضية الملساء مُحدثًا دويًا شديدًا، ثم توارى بسرعة عن الأنظار خلف إحدى الستائر المنُسدلة بالردهة، على إثر الضجة التي أثيرت خرج من غرفة النوم شاب حليق الذقن، وسيم الملامح، يرتدي ملابسه الداخلية، عصفت به أطنان من الدهشة عندما طالعته الردهة بهدوئها المثير، فجال بصره في أرجائها مُتفحصًا، قبل أن يلتقط التمثال ويضعه في مكانه، وهو يتساءل مغمغمًا لنفسه مبهوتًا:

– « من يا ترى أحدث تلك الجلبة القوية، وتسبب في سقوط التمثال؟ ».

لم يتلقَ جوابًا يُذكر، فدار على عقبيه للعودة من حيث آتى، ولكن ما إن همَّ أن ينحني في المنعطف القصير المؤدي إلى الحجرة حتى فوجئ بجسد المُتسلل يصطدم بجسده، ظهر أمامه فجأة وكأنه نبت من العدم، وبلا ذرة رحمة، وبكل الخسة والنذالة بادره بطعنة نجلاء غائرة في بطنه من خنجره الحاد، فكاد شعر حاجبي الشاب أن يلامس منبت شعر رأسه والذهول يفتك بجوانحه، فتحشرج صوته مع تدفق دمائه من فمه في بشاعة، ثم بقبضة فولاذية أخرج خنجره من جانب بطن الرجل، الذى سالت دماؤه بغزارة وهو يتهاوى أرضًا، وقد تحجرت عيناه، معلنة صعود روحه إلى بارئها..

أكمل المُقتحم طريقه، وهجم على غرفة النوم شاهرًا خنجره الحاد أمام وجهه في صرامة مخيفة، فطالعته خلف الباب أنثى شقراء بارعة الجمال في ثوب نوم أحمر قصير مثير، لم يُعطِها الفرصة لكي تُطلق صرخة واحدة بل أخرسها بأن هوى بيده الحرة على خدها الخمري بصفعة هادرة، وأشار إليها بنظرات شيطانية مُخيفة، وهو يمرر سبابته على رقبته في إشارة تهديد واضحة بأنه سيذبحها كالنعاج إذا قامت بفعل أحمق يثير غضبه، فهزت رأسها مُتفهمة، وبلغ انفعالها ذروته، وهى تُصيح مُتسائلة في ارتياع:

– «من أنت؟ ولماذا تريد إيذائي بهذه الضراوة؟!».

لوح بخنجره في وجهها، وهو يُصارحها القول في غطرسة:

- « بل زوجك من يُريد التخلص منكما أنتِ، وعشيقك الولهان».

حملق متفحصًا في قوامها الفتان المثير، وهو يردف في تهكُم:

- « وبصفتي قاتل مأجور أوكل إليَّ زوجك تنفيذ تلك الرغبة نظير مبلغ مُحترم».

شعرت بذعرها يتضاعف فصرخت خلاياها فزعًا، وهتفت به في توسل بنبرة مُتضرعة:

- «سأغدق عليك الأموال الوفيرة، وأعدك بأني لن أخبر الشرطة عن استئجار زوجي لك بغية التخلص مني، ولكن دعني أحيا».

لعق شفتيه بلسانه في منظر مقزز، وعيناه الثعلبيتان تجوسان في اشتهاء على أرجاء صدرها النافر بنهديها البارزين المفعمين بالإثارة، مُغمغمًا بصوت أشبه بفحيح ثُعبان أرقط:

- «سأنظر في أمرك أيتها المرأة اللعوب ريثما أنتهي من إفراغ شهوتي».

قال عبارته وهو ينقض عليها ويشرع في تجريدها من ثوبها في خسة وحقارة ولكنه فوجئ بها تباغته بالهجوم، وتقوم بركله بين فخذيه بكل قواها، فتخلى عنها مرغمًا وهو يزمجر ويتلوى جسده من الألم الشنيع، استنفرت عضلات جسدها الرقيق لتتجاوزه إلى الردهة بمرونة مدهشة، وهناك كبحت شهقة الهلع بكفيها وهي تُحدق برعب هائل في جثة عشيقها المضرجة في دمائها، فتسمرت قدماها في الأرض عاجزة عن التفكير في كيفية التصرف للخروج من هذا الموقف العصيب، ولم يستمر انتظارها طويلًا حتى خرج إليها القاتل المأجور بوجه مُحتقن

وبدت عيناه المُحمرتان أشبه بجمرتين مُتقدتين من قلب الجحيم، وهو يُصيح صيحة هادرة في غضب أعمى:

- « فليكن أيتها العاهرة العنيدة.. لقد وقعتي شهادة وفاتك بيديكِ، سأمزق جسدك إربًا بلا رحمة».

اندفعت نحو باب الشقة وهي تصرخ مُستغيثة، فانقض عليها بكل وحشية وشراسة محاولًا اللحاق بها، وضم قبضته وهوى بها على مؤخرة عنقها بلكمة عنيفة، ألقتها مترين إلى الأمام لترتطم بالجدار الملاصق للباب، فارتج كيانها كله، وشعرت بأن الأرض تدور بها، والدنيا تُظلم في وجهها، فسقطت فاقدة للوعي..

وقف يتأملها مليًا وهو يفكر في كيفية جعل الأمر يبدو كجريمة قتل زوجة لعشيقها ومن ثم انتحارها بوسيلة قاسية تجعله يتشفى فيها مع كل لحظة عذاب تمر عليها، وهي تتألم ببطء قبل موتها..

بالطبع لن يقتلها وهي فاقدة للإدراك فهو بذلك يفقد متعة التلذذ بتعذيبها، بل سينتظر أن تسترد كامل وعيها، ثم يباغتها بغمرها في الماء لتُقضي نحبها باسفكسيا الغرق، وهكذا يُشبع ساديته الدفينة مع مصرعها.

هداه تفكيره إلى أن يضع خنجره بين قبضتها ليطبع بصمات أصابعها عليه، قبل أن يُلقيه بجوار جثة العشيق، ثم بعدها حملها بين ذراعيه وذهب بها نحو الحمام، وهناك وضعها داخل البانيو الكبير، وقام بفتح الصنبور إلى نهايته لتتدفق المياه الباردة بغزارة على جسدها، وبمضي وقت قصير أنعشتها المياه فندت منها تأوهات الألم، وشعرت بصداع

عنيف اكتنف رأسها وبرهن على استعادتها لوعيها، فأفاقت لتجد القاتل المأجور وقد قبضت يده على رأسها في إحكام مُطلق، فأطلقت شهقة فزع، وصرخت مُتوسلة ثم أجهشت ببكاء حار مرير يكوى نياط القلوب، وهو يقول لها بلهجة شيطان رجيم:

- «فلتذهب روحك النجسة إلى أغوار الجحيم».

قالها ولم ينتظر منها تعقيبًا، وبأعصاب جليدية لسفاح قُد قلبه من صخر صلد، وبلا وازع من ضمير حي طفق يدفع رأسها دفعًا ليغمسها في أعماق البانيو الممتلئ عن آخره بالماء، غاص جسدها كله في المياه، فراحت تقاومه في استماتة بكل ما أُوتيت من قوة وعزيمة، وقدميها وذراعيها يضربان الماء من حولها في محاولات يائسة مُتشبثة بالحياة، ولكن شتان الفارق بينه كرجل شديد الشكيمة، وبينها كأنثى ضعيفة، لذا قد مالت الكفة لصالحه، وهو يدفعها أكثر فأكثر إلى أعماق البانيو، مُحكمًا قبضته على شعرها، واستمرّ هذا الحال لدقيقة كاملة؛ حتى شعرت رويدًا رويدًا بأنفاسها تضيق وتختنق، وبات صدرها في حاجة ماسة للهواء، خاصة بعد أن أوشك مخزون الأكسجين أن ينفد من رئتيها، وبحركة تلقائية فتحت فمها لتبتلع دفقات مُتتابعة من الماء، وظلت تبتلع المياه حتى انتفخت بطنها وخارت قواها مع انهيار مُقاومتها تمامًا، فتراخت قبضته بعد تأكده من أنها قد لفظت أنفاسها الأخيرة، ومع طفو جسدها فوق صفحة مياه البانيو، جحظت عيناها في رعب هائل، وعلى قسماتها نُقشت أعتى علامات الفزع والهلع.

وبمزيج عجيب من النرْجسية والازدراء، أخذ القاتل يُشيع جثتها ناظرًا في مرآة الحمام الداخلية إلى ضحيته التي قتلها بدم بارد، وهو يصفف شعره بعناية ويهندم زيه جيدًا قبل أن يغادر المبني عارجًا إلى سيارته التي استقلها، وأثناء ذلك انطلق عقله يسترجع شريط ذكرى بعيدة للغاية..

ذكرى أول جريمة ارتكبها في حياته الحافلة بالتعاسة والشقاء، وهو لا يزال في سنّ الثانية عشر، بعد أن تبناه زوجان لا يُنجبان من إحدى دور رعاية الأيتام، لينشأ في كنفهما مثل ابنهما الذي من صلبهما، ثم بمرور بضع سنين وبعد أن كادا والديه بالتبني يفقدان الأمل في الإنجاب، رزقهما الله بطفلة جميلة المحيا، وفي أعقاب قدوم المولودة السعيدة تبدلت معاملتهم نحوه وتأرجحت ما بين الغلظة، والبذاءة، والمعاملة الخشنة الجافة خاصة من جهة أمه بالتبني التي جاءت بالقشة التي قصمت ظهر البعير، عندما نعتته بأقذر الألفاظ من كونه ابن سِّفَاحٍ حينما ضبطته مُتلبسًا وهو ينظر إليها خلسة وهى في وضع مُخِلٍّ، فقَدَحها بنظرات الحِقْد والكراهية، ليقرر أن يفجعها، ويفطر قلبها في أسى ولوعة على ابنتها الطفلة الرقيقة البريئة، بعد أن تيقن من أن إلقاءه في الشارع بات أمرًا محسومًا، وما هي إلا مسألة وقت فحسب، لذا تحين الفرصة مع انشغالهم بعيدًا عن طفلتهم، وجثم على صدرها الضعيف ليعتصر وبكل قواه عنقها البض بيديه العاريتين، وظل قابضًا على عنقها لتختنق ويتحشرج صوتها، وتنتشر في عروق وجهها زرقة مُخيفة، حتى انخلعت قصبتها الهوائية بين كفيه فتركها جثة هامدة، ثم

سرعان ما انتزع قُرْطُها الذهبي من أُذُنِيها وانطلق هاربًا إلى حيث الشارع ليحيا منذ ذلك الحين وحيدًا شريدًا بين أقذر وأحط حُثالة للبشر، وفي قلب عالم قاسي لا يرحم تحكمه شريعة الغاب، وبين اللصوص وقطاع الطرق بدأ مسيرته الإجرامية، ليقرر بعدها أن يُصبح أعظم قاتل مُحترف في تاريخ مصر كلها..

انتفض جسده لوهلة، وعقله ينسحب من غمار تلك الذكريات السيئة مع وصوله إلى حدود منطقة شعبية قديمة، وهناك ترجل من سيارته ومضى حتى وصل إلى زُقاق مُقفر لا تكاد تضيئُه أعمدة الإنارة المُتهالكة، انعطف إليه بتراخي، وبينما هو كذلك إذ تناهى إلى مسامعه صوتًا خافتًا يأتي من خلفه مباشرة، فتسمرت قدماه، وتساءل في عصبية متوترة:

- «من هناك؟!».

فوجئ بمبادرة هجومية من رجل ضخم الجثة، عريض المنكبين، كث الشارب برأس أصلع وملامح غليظة، انقض عليه من الخلف وأمسك معصمه ولواه خلف ظهره في قسوة، ثم أحاط عنقه بذراعه المفتولة العضلات، حاول بكل قواه التملص ولكن هيهات.. فمهاجمه كان أقوى منه بمراحل، لذا باءت جميع محاولاته بالفشل، وخصمه يستل مطواته واضعًا ذؤابتها على صدره، وهو يهتف بنبرة تهديد مُزيلة بكل مُفردات القسوة والشراسة:

- «أيُهما تختار يا (عشري) أموالي أم حياتك؟!».

بدا واضحًا معرفته الجيدة لهوية محدثه، فحاول جاهدًا أن يكبح جماح نبضات قلبه المُتلاحقة، تحت وطأة تهديد السلاح وقوة خصمه الباطشة، وهو يقول في صوت أراده واثقًا ولكن خرج واجفًا مُضطربًا:

- «أموالك في الحفظ والصون يا (ثروت)، امنحني فقط بعض الوقت وسأردها لك بعد تحسن أحوالي المادية، وعودة الطلب على خدماتي».

شدد(ثروت) من الضغط على عنقه حتى كاد يختنق، وبدا وكأنه لم يسمعه قط، وهو يهتف في غلظة:

- «كلا أيُها المُحتال القذر، أريد الآن نقودي التي تبعثرها يمينًا ويسارًا في سهراتك الحمراء الماجنة التي تُقضيها في إشباع نزواتك. ستعطيني أموالي وإلا أرديك قتيلًا في الحال، وألقيت جيفتك لكلاب الشوارع الضالة».

عض (عشري) على شفتيه، ثم قال في ارتباك ملحوظ:

- «ليس في مقدرتي رد الدين هذه الأيام، لذا لو أردت مني مصلحة مُقابل دينك فسأقضيها لك بلا تردد».

صمت (ثروت) لبرهة من الزمن، وهو يزن أمرًا ما في رأسه، قبل أن يقول له برباط جأش من اتخذ قراره:

- « فليكن يا (عشري) سأتغاضى عن أموالي تمامًا، ولكن بشرط أن ننجز سويًا مهمة سطو تتعلق بعملي في الاتجار بالأعضاء البشرية».

زوى (عشري) ما بين حاجبيه، وسرعان ما انتفخت أوداجه وهو يومئ برأسه موافقًا، ثم قال بعنجهية:

- «اتفقنا يا شريكي».

قالها ثم أرهف سمعه جيدًا ل(ثروت) وهو يروي له كافة التفاصيل المُتعلقة بهذه المهمة التي قادتهما إلى منطقة مقابر مُسربلة بالظلام على نحو مخيف، خاصة مع منظر شواهد القبور وظلالها الممتدة التي يُلقيها ضوء القمر وهو مُحاق، والتي من تأثيرها أن تُجمد الأطراف وتثير في النفس البشرية شتى أنواع الخيالات المرعبة، بالإضافة إلى أصوت الزواحف والحشرات، وحفيف أوراق الأشجار التي تُطيرها النسمات..

سارا الهوينى بين المقابر، حتى توقفا عند سياج ضريح تبدو عليه أمارات الحداثة، أو بالأحرى تم ترميمه مؤخرًا، أخذا يتسلقان السياج ليهبطا على الجانب الآخر، وبعد مجهود شاق قاما برفع بلاطة إسمنتية ضخمة تسد مدخل القبر، لينفتح على مصراعيه، مُنبعثة من جوفه رائحة رطبة عفنة زكمت أنف (عشري) الذي أشاح بوجهه مشمئزًا، وهو يقول في انفعال مُضطرب بصوت أقرب للهمس:

- «عجبًا يبدو أن هذا القبر لم يُفتح منذ قرون، كيف يتسنى ذلك وقد استقبل اليوم متوفيًا حديثًا؟!».

هز رأسه محاولًا أن ينفض ما علق بها من هواجس مُستبدة، وراح قلبه الواجف يزاول عقله المُغتر في فكرة الانسحاب فجاوبه بالرفض وأصر

على استكمال المهمة، لذا أخذ شهيقًا عميقًا زفره بحُرقة، ثم أردف قائلًا بحزم:

– «ثوانٍ أجلب الجثة من المقبرة».

لأول مرة في حياته العريضة ومنذ أن امتهن نبش القبور، وبيع جثث الموتى لطلبة كلية الطب شعر (ثروت) برهبة ومهابة تجتاح خلاياه جعلته يحبس أنفاسه داخل صدره، لذا لم ينبس ببنت شفة وإن بدا متوجسًا خيفة مما يلوح في الأفق، مع تقدم(عشري) في بطء وهبوطه في درجات سلم المقبرة، وهو يضيئ طريقه بواسطة مصباح يدوي أخذ يحركه على نحو عصبي، وظهر كل شيء هادئًا ساكنًا مع دلوفه إلى جوف القبر، وهناك شعر بقشعريرة باردة تغزو جلده، وهو يبصر على ضوء مصباحه اليدوي جثة مُسجاة في كفن جديد، فتفصد جبينه بعرق بارد سرعان ما انساب على صدغيه بغزارة، وهو يحمل الجثة بروية بين ذراعيه ويهم بصعود الدرج، وفجأة دون سابق إنذار انقطع ضوء المصباح، ليخيم على جنبات القبر ظلام دامس، تضاعف له توتر (عشري) مع شعوره بشيء ما يشق الهواء بجواره، فأمسك عنقه من جراء إصابته بلدغة مباشرة، انتفض لها جسده من قمة رأسه حتى أخمص قدميه، فطرح الجثة أرضًا مع تمخض المقبرة عن خلية عناكب سوداء طفقت تنجذب إليه وكأنه مغناطيس ضخم، وتنسَل بهيئتها البشعة من كل حدب وصوب، لتتزايد أعدادها بكثافة في كل لحظة حتى صارت أسرابًا، وأخذت تلدغه لدغات عديدة مؤلمة، جعلته في حالة مزرية للغاية، وبدت عيناه زائغتين، فاستدار محاولًا أن

يعود أدراجه، وتحت وطأة استحواذ الهلع على قلبه، دفع لسانه للصراخ مُستغيثًا بصوت مُختنق:

- «النجدة.. النجدة يا ثروت!».

بعينين جاحظتين مُتسعتين عن آخرهما، مع ارتعادة أوصاله في رعب تساءل (ثروت) مُرتجفًا:

- «ماذا حدث لك يا صَاحِ؟!».

قالها وهاله ما رأى بمجرد أن برز (عشري) خارج المقبرة بجسده المُغطى بأعداد رهيبة من العناكب، ويديه النحيفتين تلوحان في ارتياع بلا حدود، ومع اندفاعه الأرعن تعثرت قدماه في بلاطة القبر ليختل توازنه، فضرب الهواء بذراعيه محاولًا التشبث بـ (ثروت) الذي تلقفه بالفعل قبل أن يتقهقر للخلف بحركة حادة، وهو يطلق شهقة قوية، وبدنه يرتعش بعنف مع إصابته بلدغة عنكبوت ثم تبعتها ثانية فثالثة، ليتخلى عن جسد (عشري) الذي هوى مُرتطمًا بالأرض، وقد ازداد وجهه شحوبًا يُحاكي وجوه الموتى، وانتفض جسده لوهلة ثم تسمرت مقلتاه، وهمدت حركاته تمامًا.

فأطلق (ثروت) ساقيه للريح مزمعًا الفرار، وأخذ يركض بلا هدى في كل مكان يحاول أن يهرب من لدغات العناكب الخطرة، لكنه توقف بغتة بين شواهد القبور بعد أن راحت ركبتاه تصطكان فسقط جاثيًا عليهما، وأنفاسه تتقطع من فرط الذعر، مع إحساسه بالعجز، واكتناف رأسه شعور قوي بالدوار، أبصر ما حوله وإذ به يجد نفسه أمام منزل صغير يتوسط المقابر خمن كونه يخص حارس المقابر، وبكل ما

تبقت له من قوة دفع نفسه دفعًا نحو الباب وأخذ في طرقه بوهن شديد، فخرج له الحارس الكهل بثيابه الرثة، ولحيته المطلقة الشعثاء، وهو يحدق فيه بعينين جاحظتين ينتابه الشك في أن ما يراه قد يكون هلاوس ليلية، فوجده يتلفت حوله أكثر من مرة، فبسمل وحوقل ثم غمغم ذاهلًا:

- «على رسلك يا رجل، ماذا دهاك؟!».

أشار إليه (ثروت) بأصابع متهالكة، وكأنما يدعوه إلى الاقتراب منه وشفتاه تلهثان بهمهات خافتة، فتطلع إليه الحارس في دهشة، وهو يدنو منه على نحو غريزي، فامتدت أصابع (ثروت)تضغط على كف الحارس، وفي لهجة أشبه برجل يحتضر غمغم بحروف مُتقطعة:

- «الغوث أنا.. م ..ش.. ل.. و.».

تجمدت الكلمات على أعتاب شفتيه، فعض السفلى مع شعوره بآلام مبرحة في بدنه، وتشنج عنيف في عضلاته، قبل أن تنطلق من حلقه شهقة قوية، ومع تراخي أطرافه وتخاذل قدميه، تهاوى في تهالك على ظهره كالحجر، ليخمد صوته للأبد، وقد فقدت عيناه المُتسمرتان بريق الحياة..

فاغرًا فاه، انحنى الحارس فوقه، وشرع يقيس نبض معصمه فلم يجد لنبضه إيقاعًا يُذكر، فأغلق عينيه في خشوع، ومن ثم هب واقفًا على قدميه، وتراجع للخلف وقسمات وجهه تحمل أسى مريرًا، وأخذ طوفان الأسئلة الحائرة تترى في ذهنه وتوتره يتضاعف في كيفية التصرف في هذه المُصيبة التي ابتلاه الله بها، فهو لا يعرف هويه غريب

الأطوار هذا، وما غرضه من القدوم إلى المقابر في هذا التوقيت المُتأخر؟!

وما الشيء الرهيب الذي كان يفر منه، وتسبب في إزهاق روحه بهذه البشاعة؟

عقد العزم على وجوب كشف سر هذا الرجل الغامض قبل طلوع النهار، حينئذ سيُصبح عرضة للمساءلة القانونية بعد افتضاح أمر جثته، لذا التقط كشافًا يدويًا قويًا، وانطلق يقتفي أثره، فتبعه في إصرار وسار بين الدروب وممرات المقابر الضيقة، وعبر شواهد القبور حتى بلغ القبر المنبوش، وللوهلة الأولى اتضح له ما قد حدث عند محاولة سرقة محتويات هذا القبر تحديدًا..

قفز بذاكرته عبر الزمن إلى الماضي البعيد إبان قدوم الوافد الأول لهذا القبر، والأحداث الفظيعة التي يشيب لهولها الولدان، والتي خاض غمارها برفقة زوجته الراحلة في الليلة الأولى، وما تلاها من ليالٍ حالكة السواد عجت بأشباح مُرعبة، وصرخات عذاب وتنكيل كأنها صادرة من قلب جهنم ذاتها، لا من قبر ترقد فيه جثة صارت رُفات لرجل كان يمتهن السحر الأسود، تجرع من كأس شره الرجال والنساء حتى ضاقت بهم الدنيا بما رحبت، فقرر فتيان الحي التخلص منه، وبالفعل قتلوه قتلًا جماعيًا رميًا بالرصاص، ودفنوا جثته الملعونة ها هنا، واليوم ضم القبر متوفى آخر من ذرية الساحر سلك نفس مسلكه، وجاء هذان اللصان طمعًا في جثمانه، غير عالمين بالهول الذي كان ينتظرهما، وأوقعهما حظهما العاثر في شر أعمالهما ليقضوا نحبهم جراء تحديهما

لهذه المقبرة التي لم يجسر شخصيًا من قبل على الاقتراب منها ليلًا قط..

تنفس الصعداء وقرر أن يعيد الأمور إلى نصابها الطبيعي، فعاد على الفور إلى منزله وجلب كيسًا من الأسمنت المُمزوج بالجبس ودلوًا محدودًا من الماء، ثم رجع إلى القبر المنشود، وقام بإعادة بلاطة القبر إلى مكانها، وثبتها جيدًا بخليط الأسمنت والماء، وبمجرد أن فرغ من عمله حمل جثمان (عشري) ووضعه في بقعة خاوية بجوار شاهد قبر قديم تشابكت عليه الأعشاب والنباتات المُتسلقة، ثم جلب جثمان (ثروت) ووضعه جنبًا إلى جنب مع جثمان رفيقه، وجاء بجاروف الحفر، وبعد مجهود شاق صنع حفرة عميقة تتسع لكليهما، بعدها حمل الجثتين وألقاهما تباعًا في قلب الحفرة، وهو يلقي عليهما نظرة وداع طويلة، مُفعمة بالحسرة والندامة، ثم التقط الجاروف وكسح به أديم الأرض وبدأ يرميه على جسديهما الهامدين من أسفل إلى أعلى وهكذا دواليك، حتى وصل إلى الوقت الذي أراد فيه أن يواري وجهيهما بالتراب، وإذ في نفس هذه اللحظة الفارقة وبتناغم وتوافق مدهش أطلت حدقتي (عشري) من خلف خيط رفيع انفرج بين جفنيه، وانفُتح فاهه على اتساعه بشهقة خافتة وأدتها في مهدها حفنة تراب أطبقت على حلقه وفي أعقابها انهدل التراب أكوامًا، ولم يُفطن حارس المقابر لما وقع مع مُضي الحدث سريعًا، حتى فرغ من تسوية الحفرة بالأرض..

ومن المؤكد أن التربي لم ولن يعرف أبدًا حقيقة ما جرى في أعقاب لدغات العناكب التي أدت لإصابة المُجرمان بحالة شلل مؤقت بعد أن أُلقيا في غيبوبة عميقة جعلت إيقاع قلبيهما بطيئًا للغاية، وأفقدتهما إحساسهما بما يدور حولهما، وجعلتهما لا يستطيعان تحريك عضلة واحدة أو حتى أنملة من جسديهما، فكان مصيرهما أن دفنا أحياءً جزاءً بما اقترفا من آثام..

وعلى نحو طارئ ارتجت الأرض بجوار أقدام التربي، فاستبد به القلق المبين، وبلغ منه الانزعاج مبلغًا، وهو يترقب وقوع أمر جلل، وسرعان ما جحظت عيناه داخل محجريهما وهما يحملقان في ذراع نحيلة معروقة وقد انشقت الأرض عنها، لتمتد أصابعها خارجًا بعد أن وجدت طريق الخلاص، في تطور ينبأ بكارثة شنعاء، وهول آخر قادم من تحت التراب، فاقشعر جسمه من فرط الرعب، ودبت في أوصاله رجفة عنيفة..

رجفة الخوف.

قناع الموت

تهللت أسارير (شادن) بابتسامة خلابة، زانَتْ وجهها الملائكي، فألهب جمالُها الآسِر القلوب، وأذاب سحرها الأخاذ أفئدة جموع الحاضرين لحفل زفافها، المقام في إحدى الفنادق الفخمة، وتهيأت لتلقي بباقة الورود خلف ظهرها للآنِسَات الحَسْنَاوَات، فالتقطتها إحداهن في حبور طاغٍ، ثم عانقت العروس وقبلت وجنتيها.. بعدها رقص العروسان سويًا رقصة حالمة؛ تمايلت خلالها (شادن) بقدها الأهيف على لحن كلاسيكي رومانسي هادئ، وكانت تلك الطقوس بمثابة إيذان بنهاية الحفل الساهر، بعدها عزفت الموسيقى لحن الزفاف، لتتأبَّط ذراع عريسها الوسيم بحلته التكسيدو ذي البيبون الأنيقة، قاطعين الممر الطويل لقاعة الأفراح في زفة منقطعة النظير، وهى تتبختر في مشيتها بخصرها المَيّاس، وتُجَرجِر من خلفها ذْيَل ثَّوْب الزفاف الأبيض، يحفهما ذويهما والمدعوون، يلهبون أكفهم بالتصفيق الحار، ويهللون بعبارات التهاني، والتعليقات المرحة المختلطة بزغاريد الفرح، ترافقهم ألعاب الليزر المبهرة والدخان الاصطناعي الممزوج بأوراق الزهور الملونة، حتى استقلا سيارة مزدانة انطلقت بهما على الفور..

وما هي إلا سُوَيْعة حتى كشرت الطبيعة عن أنيابها، بأن تلبدت السماء بغيوم رمادية كثيفة أضفت على الطقس البديع طابع الكأبة، وسطع البرق في الجو تلاه هزيم الرعد، وسرعان ما هطلت الأمطار في غزارة، لتدفع الغالبية العظمى من الناس للبقاء في بيوتهم، وكادت الشوارع تخلو تقريبًا من حركة السيارات، والمارة تحت السيول المنهمرة..

ومن بين الذين لم يبالوا بموجة الطقس السيء شخص طويل القامة، متين البنيان، متشح بالسواد، يرتدي معطفًا قصيرًا من النايلون المقاوم للماء، وبنطال جينز من اللون الأسود الداكن، عبر الطريق واتجه مباشرة صوب إحدى العوامات النيلية الخاصة، وبخطوات أقرب للعدو عبر مرساتها، وعند نافذتها الجانبية أخرج مطواة سويسرية متعددة الأسلحة، عالج بها الرتاج حتى استجاب له، ففتح النافذة وتسلل إلى الداخل بخفة الفهد، وأغلقها خلفه في إحكام، ثم شرع في تنفيذ خطة شيطانية، دارت في تلافيف عقله الخبيث..

دس يده في جيبه، وأخرجها حاملة قفازين جلديين سوداوين، وقناع مطاطي مخيف، يحمل ملامح سفاح مجزرة منشار تكساس، الأشهر في تاريخ أمريكا (إد جين) أخذ يتقفَّزَ، ويثبت القناع جيدًا على وجهه، ثم اِستل من جراب معلق بساقه خنجرًا مفلطحًا ماضيًا، جرح به باطن كفه ليتأكد من حدته، واِنتَشَى وهو يلعق بتلذذ دمائه الحارة، ثم انتقى مكانا مميزًا من أثاث العوامة، وقبع خلفه يسترق السمع، ويترقب بهدوء وثقة..

لم يَدُم مكوثه طويلًا، حتى استنفرت حواسه تكة معدنية مصاحبة لتحرك مزلاج الباب، وبحذر شديد اشْرَأَبَّ بعنقه، وبنظرة ثاقبة رمق القادم، وهو يحمل عروسه الفاتنة على كلتي يديه، يغشاهما شغف جارف، حتى استقر بهما المقام خلف جدار غرفة النوم، وهناك انتفخت أوداج العريس، مع شعوره بجسده تغزوه قشعريرة لذيذة، وكأنه لا يصدق أن (شادن) قد صارت زوجته، وبنظرة عاشق ولهان هتف في لهفة:

- «أخيرًا يا حبيبتي، الآنَ فقط تحقق حلم حياتي».

تنحنحت (شادن) وهى تُسبل جفنيها الجميلين، وغمغمت في ارتباك واضح:

- « كل شيء بأوانه يا (رامز) و...».

مط شفتيه بضيق، وهو يشير بإصبعه السبابة، صوب شفتيها التي بدتا كثمرتي فراولة ناضجة، فلامسهما ليرتد كمن أصابه تيار كهربائي منعش، ثم قال بجدية:

- «اِسمي لم أعد بحاجة إليه بعد الآن، يكفيني منكِ لقب حبيبي».

صفقت بكفيها جذلًا كالأطفال، وانحنت في حركة استعراضية ثم اعتدلت، وهى تقول بنبرة أقرب للهمس تموج بالغُنْج:

- « أَمركَ مطاع يا حبيبي».

أشارت لسحَّاب فُستانها، واستطردت في لطافة أنثويّة ودَلاَل:

- «هيا لا غضاضة عليك، حتى أنال قسطًا من المياه المنعشة، أزيل به إجهاد وإرهاق هذا اليوم، ثم أعود لأنهل من فيض مشاعرك الجياشة».

أذعن لطلبها، وهو يتمتم بضراعة، في وَلَه المتيم بالعشق:

- «فليكن يا مُهجة الروح، ولكن حذارِ أن تتأخري على قلبي سوى دقائق معدودات».

قالها بلهجة زايلها الغيظ، ورمقها بنظرة هيام ورأسه تدور بقوة، وهو يتطلع إليها مبهورًا مفتونًا بعينيها الخضراوين، وأهدابها الطويلة، وشفتيها المكتنزتين، وبشرتها البيضاء المشربة بحمرة مثيرة، جعلت جسدها البض بكافة تضاريسه ينبض أنوثة طاغية، وكاد أن يجنح به خياله الجامح لعوالم أخرى لم يطأها قط، خاصة وهو يراها ترتدي ثوبًا ورديًا هفهافًا قصيرًا، هَمَّ بالاقتراب منها على نحو غريزي، لولا أنه كبح زمام رغباته وشهواته، ليفضل الانتظار قليلًا، حتى يتوافق المناخ العام لكليهما، وحاول مداراة ارتباكه بصعوبة بالغة، وهى تزيح خصلات شعرها الأشقر الناعم إلى ما خلف رأسها، قبل مغادرتها حجرة النوم..

بعدها استبدل حلته بروب منزلي، ثم اتجه إلى بار صغير يحتل ركنًا في ردهة العوامة، التقط منه قِنِّينة نبيذ معتق فاخر، صب بعضًا منها في كأس من البلور، ثم جرعه دفعة واحدة حتى الثمالة، ليحتقن وجهه بالدماء من فرط النشوة، قبل أن يعود للحجرة، ويشعل جهاز الكمبيوتر اللوحي لتنساب الموسيقى الصاخبة بأهزوجة خاصّة

للأعراس أخذ بصوت مرتفع يترنم بكلماتها، وهو يجلس على طرف الفراش، ينتظر على أحر من الجمر قدوم زوجته.

التي كانت في تلك الأثناء تنتظر امتلاء حوض الاستحمام المستدير بالمياه، بالانشغال بمطالعة صورتها المنعكسة في مرآة الحمام، فتحسست بشرة وجنتيها الناعمة، وهى تُسبل جفنيها في نشوة، وتطلق من بين شفتيها صفيرًا منغومًا، والإحساس الغامر يغزوها بسعادة الدنيا، فتحت عينيها ببطء فتلاشت ابتسامتها، وحلت محلها نظرة هلع، حينما بدت لها من خلفها صورة المقنع واضحة بجلاء على سطح المرآة، يقف وراءُها مباشرة.

ألجمتها المفاجأة، وتفجر الرعب من كل خلجة من خلجاتها حتى النخاع، فاختنقت الكلمات في حلقها، ولم تستطع أن تتفوه ببنت شفة، اِرْتَعدَ جلدها وهى تستدير ببطء، وترفع رأسها لتواجهه، كان شاهرًا خنجره ذا النصل الحاد أمام وجهها في صرامة مخيفة، واضعًا إصبعه على فاهه، في إشارة تهديد ووعيد واضحة لعاقبة كشف أمره..

كاد قلبها من فرط ذعرها ينخلع من بين ضلوعها، مع سريان قشعريرة هائلة في جسدها، فتيبست عضلاتها، وأصابها ما يشبه الشلل الرباعي، وشعرت أن ساقيها قد عجزتا عن حملها، فسقطت أرضًا بعنف، ليتمكن المقنع بواسطة شريط لاصق من إحكام وَثَاقَ معصميها، ووضع كمامة على فمها تمنعها من الصراخ للاستنجاد بزوجها.

تجمدت عيناها في محجريها، وهى تحدق بذهول في عَيْنَي غريمها من خلف قناعه، وأخذت تنبش في أرشيف الذكريات لجلب صورته، وهو

يرفع خنجره ويمرره على وجهها بهدوء مثير، وبغتة وبلا تردد أو رحمة، راح في وحشية بطرف النصل المشرشر يمزق وجهها بضربات سريعة متلاحقة، لتتفجر الدماء القرمزية الدافئة، لتغرق قسمات ملامحها المطموسة، وهي تتلوى ألمًا وعذابًا، وتطلق عبر الكمامة اللاصقة صرخات هيستيرية مكتومة، وهمهمات مرتجفة متوسلة..

وضعت كفيها على وجهها المشوه، والمغمور بالدماء على نحو مخيف، فتخضبت راحتيها باللون الأحمر، وتحت وطأة لوعتها التي جعلتها كالثكلى، انفكت عقدة جسدها، فاعتدلت بصعوبة وتراجعت بحركة حادة، وكل خلية من خلايا جسدها تنتفض، فجاوبها عدوها بابتسامة مقيتة، سرعان ما اتسعت لتصبح ضحكة جذلة شامتة، وهو يهجم عليها محاولًا طعنها بنصل خنجره الذي يتقطر دمًا، وبغريزة البقاء تنحت جانبًا، فأطلق المقنع زمجرة غاضبة، وخنجره ينغرس في مرآة الحمام من خلفها، فيهشمها ليتساقط حطامها، ويرتطم بالأرضية في رنين مزعج، تردد صداه في كافة جوانب الحمام..

تكهرب الموقف ليقرر المقنع الإسراع بإنجاز مهمته، فانقض على (شادن) التي حاولت التملص بالاندفاع نحو باب الحمام، لتنزلق قدماها على الأرضية الملساء، وتسقط أرضًا، لتنغرز شظايا الزجاج الحادة بأرجاء جسدها، حاولت التشبث بحافة الحوض لتعتدل ولكن جسمها المدجج بالآلام خذلها، فاغرورقت عيناها بدموع اليأس المريرة..

اندفع خصمها نحوها رافعًا خنجره للأعلى، ليهوي نصله على بطنها، فرفعت يَدَيْها في محاولة جادة للزود عن حياتها، لتشعر بآلام حادة تنتشر في ذراعيها، فأجهشت ببكاء حار امتزج بنحيبها المذعور، وأصدر جسدها تشنجات عصبية حادة، ليسيطر الرعب على كيانها كله، لذا لم تقاوم هذه المرة واستسلمت تمامًا لمصيرها المحتوم..

ضاقت حدقتا المقنع، ليَبدُو علي وجهه آثار الاستمتاع بانهيارها التام، فحدجها بنظرة قاتل سادي يتلذذ بتعذيب الآخرين، وبرقت عيناه في جنون حاز على وحشية الدنيا، وببرود عجيب أخذ نصل خنجره يغوص في صدرها الأيسر، فشقه كما لو أنه جراح بريطاني يقوم بعملية قلب مفتوح بدون عقاقير مخدرة، لتجحظ عينا (شادن) في ألم ورعب هائلين، مع بروز قلبها المَخبوء في تجويف صدرها، وهو ينبض بضربات سريعة متلاحقة، وبمعدلات فائقة غير مسبوقة، وبعدم اِكْتِراث مد المقنع يده عبر فرجة صدرها وانتزع قلبها انتزاعًا من بين ضلوعها، أخذًا بالأوردة والشرايين المتصلة به، لتتمزق على نحو بشع، وينتفض جسدها انتفاضة الموت الأخيرة..

وبعيون زائغة من خلف غشاوة الضباب، تَرَأَّى لـ (شادن) في لمحة خاطفة ملامح جلادها، بعد أن نزع القناع عن وجهه، لتعرف آنذاك حقيقة شخصيته، قبل أن تتوقف أنفاسها، لتسقط رأسها فوق صدرها معلنة مفارقة الروح لجثتها الهامدة، التي اندفعت منها الدماء كالشلال لتصنع حولها بحيرة حمراء قانية، فحملق القاتل بنظرة شهوانية متشفية في قلبها القابع بين كفيه والدم يتقاطر منه بغزارة، ثم رفعه إلى وجهه،

قبل أن يضع جزءًا منه في فمه، ويلوكه بأسنانه في تلذذ مثل آكلي لحوم البشر، قبل يبصقه ويلقيه أرضًا باتجاه حوض الاستحمام..

في ذلك الوقت كان (رامز) غارقًا في احتساء الخمر، وبدأ القلق يتسلل إلى كوامن نفسه لطول غياب زوجته، فقام من مجلسه وهو يترنح من فرط سُّكره، جال ببصره في أديم العوامة الفسيحة بحثًا عنها ولكن دون جدوى، فهرع نحو الحمام يستطلع أمرها، طرق الباب فلم يجاوبه سوى الصمت المطبق، فتح الباب ليرتد إلى الخلف مصعوقًا، وانتفض جسده كله دفعة واحدة، وشعر أنه شَابَ قبل الأوان من هول ما رآه بأم عينيه الجاحظتين الذاهلتين..

في تلك اللحظة انقطع التيار الكهربي لتغرق العوامة في بحر الظلام، فاندهش وهو يطالع الأضواء الواضحة في كل مكان من حوله، حتى في العوامات المجاورة، وبغتة سطع البرق في السماء، وعبر وميضه نافذة العوامة، لينعكس على تمثال ثقيل ارتفع عاليًا، وهوى بضربة قوية على مؤخرة رأس (رامز) جعلت جسمه يدور حول نفسه، قبل أن يسقط أرضًا، ليذهب في غياهب غَيبوبة عميقة ما لها من قرار، فأصبح مسلوب الإرادة بين قبضة ألد أعدائه..

ولم يدرِ بالضبط كم مضى من الوقت وهو فاقدًا للوعي، ولكن عندما أفاق شعر بصداع رهيب يكتنف رأسه، ووجد يديه وقدميه مشدودتين في إحكام إلى قضيب سكة حديد بحبال غليظة مَضْفورة، وعلى قيد خطوات منه يقف ذلك الشبح المقنع يوليه ظهره، كانت ليلة من ليالي محاق القمر قد أرخى فيها الظلام، والبرد القارس سدولهما، وساد

الصمت والسكون في جميع الأنحاء، وبدأت الأمطار تخف تدريجيًا، فأخذ (رامز) يتبين موقعه الجديد ليجدها منطقة مقفرة موحشة، تبعد كثيرًا عن العمران، وبكل غضب الدنيا هتف منفعلًا:

– «من أنت أيها ال...؟!».

ابتلع لسانه سبة بذيئة قبل أن يتلفظ بها، فالتفت إليه المقنع، ليظهر هذه المرة بقناع آخر للقاتل المتسلسل في سلسلة أفلام الهالوين (مايكل مايرز)!..

لترتعد أوصال (رامز) ويرتجف جسده كريشة في مهب الريح بمجرد رؤيته للقناع المرعب، وجاوبه المقنع بصمت مثير للأعصاب استفزه بشدة، فحاول استجماع شتات شجاعته المبعثرة، وهو يقول في توتر متضاعف:

– «ماذا تريد مني بقناع المهرج هذا أيها السفاح المجْذُوب؟!».

هذه المرة أيضًا لم يجاوبه المقنع ببنت شفة، وظل الصمت المهيب هو سيد الموقف، وهنا طافت في مخيلته صورة زوجته، وبمشاعر جياشة لا إراديَّة انخرط في بكاء مرير على الحالة البشعة التي قضت بها نحْبَها، لتمتزج دموعه برَّذاذُ المطر، ثم ابتلع ذكراها كغصة مؤلمة في الحلق، وفجأة انتبه إلى وضعه شديد الخطورة، فهو مثبت فوق قضيب سكة حديد، ومؤكد سيأتي قطار سريع بين الفينة والأُخْرَى ليسحق جسده سحقًا..

تسارعت ضربات قلبه، ليحاول جاهدًا بشتى الطرق والوسائل أن يفك وثاقه، ولكن دون جدوى، ليصيبه الإحساس بالقُنوط الشديد، فغمغم متضرعًا في انهيار بصوت أقرب للبكاء:

– «رباه! من يغيث ذاك المَلهوف سواك؟!».

عندها فقط دَنا منه ذلك المقنع حتى صار على بعد خطوة واحدة منه، وفي بادرة غير متوقعة على الإطلاق خلع قناعه البشع بيسراه فبدا من أسفله ذلك الوجه الذي يعرفه(رامز) جيدًا..

وجه أخيه الوحيد..

(أدهم)!..

فشحب وجه (رامز) حتى حاكى وجوه الموتى، وفغر فاهه قبل أن يطبقه، وهو يهتف بلهجة عصبية في حَنِقَ:

– «أنت.. أنت يا (أدهم) خلف فاجعتي بمقتل زوجتي!».

التمعت عينا (أدهم)، حتى بدا حرفيًا كالمُعتل، وهو يصرخ بحدة في سخط عارم:

– «إن الله لا يحب الظالمين، وأنت مستبد وجائر يا (رامز)».

مرر أصابعه أمام عنقه في إشارة مغزاها أنه لن يرحمه، وبصيحة هادرة استطرد قائِلًا بغضب، وجنون الكون:

– «ولسوف تموت بعد أن استحوذت وحدك على تَّرِكة أبينا وكأنك وريثه الوحيد، ستفارق الحياة وتلك الثروة التي ترفل فيها، ستؤول لي وحدي».

ازدر لعابه، ثم أردف قائلًا في هياج بنبرة حادة:

- «الأدهى أنك دون نساء أهل الأرض اخترت أن تتزوج حبيبة عمري(شادن) وقد شفيت غليلي، وأخذت ثأري منها بشر انتقام».

عاود(رامز) الكَرّةُ وراح يصارع قيوده، وهو يبتلع قطرة ريق فرت هاربة إلى صعيد حلقه الجاف كصحراء قاحلة، وأراد أن يصرخ ولكن صوته خذله فخرج متحشرجًا، وهو يتمتم في توسل بنبرة خاشعة:

- «ولكن القاتل لا يرث ضحيته يا (أدهم)، هكذا علمنا ديننا».

قاطعه أخوه وهو يهوى على وجهه بصفعة هادرة، جلجل صداها في الليل البهيم كألف صفعة، وهو يجثو على ركبتيه، حتى كادت أنفاسه الحارة أن تلفح وجهه، وصرخ فيه بغل قائلًا:

- «أنت وغد زنيم بحق يا (رامز).. لقد استوليت على الثروة لنفسك، ولما كنت حجر عثرة في طريقك افتعلت ذلك الشجار وأوهمت الجميع بأنني أبغي قتلك ثم وصمتني بالجنون لتودعني ذلك المستشفى الحقير، لتمضي أيامي كئيبة بين جدرانه أقاسى فيها الأمرين حتى وجدت فرصة مثالية سانحة للهروب».

قالها ثم هب من جواره وهو يردف في مقت:

- «وبالنسبة لمصرعك فهي حادثة شائعة الحدوث دبرها لك أحد خصومك بعد أن تخلص من زوجتك، بعدها سأعود من حيث أتيت كما دبرت وخططت لأقضي أيامي القادمة كسابقاتها، وكأنني لم أعد أعلم عنك شيئًا قط منذ أن أودعتني المستشفى التي لم تزرني فيها طيلة المدة المنصرمة».

لوح بذراعيه في الهواء، وضاقت حدقتاه، وهو يكمل حديثه قائلًا:

- «ولا تقلق سأستقبل خبر موتك كالمصدوم، تؤازرني دموعي، وصرخاتي الملتاعة على فقدان شقيقي الوحيد، حينئذ من سيحول بيني وبين إرثك؟!».

صفق بكفيه في جذل وحشي، وهو يتصور نفسه ملكًا متوجًا، يتنعم بأموال أخيه، الذي حدق فيه مذهولًا غير مصدق ما يسمعه بكلتي أذنيه، فصرخ فيه بعينين مذعورتين:

- «ما تقوله أوهام عارية تمامًا من الصحة يا أخي.. فأنا لم أبخسك حقك كما تظن، فلقد حفظته لك في المصرف حتى تتعافى مما ابتلاك الله، ولم أودعك مستشفى الأمراض النفسية والعصبية للتخلص منك كما تدعي بل لتدهور حالتك النفسية، وإصابتك بانهيار عصبي حاد بسبب وفاة والدنا، وكنت تستلزم العلاج الفوري و...».

بتر عبارته هذه المرة مع انبعاث رنين منغوم مصدره سيارته القريبة، فانقض(أدهم) على السيارة، والتقط الهاتف الجوال منها وأخذ يطالع شاشته الكريستال، فبُهت عندما عرف هوية المتصل ثم أجاز الاتصال سريعًا، وأخذ يستمع لمدة لدقيقة للصوت المضطرب الذي ينبعث إليه عبر الأثير، ودون أن يجيبه ألقى الهاتف بطول ذراعه، وعيونه تتقد بغضب ناري، وانقض مرة أخرى على (رامز) يكيل له اللكمات والضربات المتوالية بشراسة الليث الجريح، وهو يصرخ فيه بصوت هادر:

- «سحقًا لك يا (رامز) لسوء حظك سقط قناع زيفك الآن بعد أن اتصل صديقك العزيز، الذي هو نفسه طبيبي المعالج، ليخبرك بهروبي من المستشفى، ويؤكد عليك اتخاذ كافة وسائل الحيطة والحذر؛ لكيلا تنكشف خطتكما القذرة التي أودت بي إلى حافة الجنون».

بدد سكون الليل صافرة مدوية لقطار قادم نحوهم من مسافة ليست بالبعيدة، فالتهبت أعصاب (رامز) وهو يحاول يائسًا أن يحل وثاقه، ولكن هيهات فأخوه قيده بإحكام مطلق، فألجمه العرق إلجامًا، وصرخ بكل ما يموج به صدره من انفعالات ذعر جارف، وهو على شفا الانهيار التام:

- «الرحمة يا أخي، فأنا شقيقك الوحيد، أرجوك حل وثاقي، وأعاهدك بأنني سأعوضك عن كل لحظة شقاء عانيت فيها».

جاوبته تصفيقات (أدهم) وهو يثِب في الهواء كطفل مبتهج بلعبة جديدة وضاقت حدقتاه، وهو يغمغم في صرامة ماجنة:

- «سبق السيفُ العَذَلَ يا شقيقي، وأوشك القطار السريع أن يفرمك أسفل عجلاته بلا هَوادة!».

راح يهذي بلهجة مخيفة، وبكلمات غير مفهومة، وكأنه مختل عقليًا بحق، والزبد يسيل من بين شِدْقُه على ذقنه في منظر مقزز، وكأنه وحش كاسر لم تعد في أعماقه مكان لبذرة شفقة، أو ذرة رحمة، والقطار يدنو منهما بسرعته القصوى، وصافرته تسبقه بضوضاء مزعجة كادت شدتها أن تصم الآذان، وكشافه القوي يضئ الطريق أمامه كشمس

مشرقة في ظلام ليل حالك السواد، وأخذ (رامز) يتضرع لأخيه، وعينيه تجحظان من شدة رعبه الذي بلغ مداه، واقترب القطار بالفعل الحسم، وأصبح على مرمى البصر..

وفي تلك اللحظة الحرجة احتقن وجه (رامز)، وتدفق الأدرينالين بقوة في عروقه، لتنقبض عضلاته ثم تنبسط، ليجد معصمه قد تحرر، وبلا تردد قبض على ساق (أدهم) ككلابة من فولاذ، وهو يصرخ بملء فَاههُ بسخط ثائر:

– «إذا لم يكن من الموت بُدٌّ، فلنمت سويًا يا شقيقي التعس».

جاوبه (أدهم) بصرخة رعب هائلة، تلاشت مع دوي القطار الهادر، وهو يحاول بكل ما أوي من عزيمة تخليص قدمه من القبضة ذات الشَّكيمة الشديدة، ولكن القدر لم يمهله للفرار من القضاء النافذ، المدون في سجلات اللوح المحفوظ، بذلك الحكم الذي جاء بقسوة بالغة بعد اِرتِطام القطار المندفع بجسديهما ليقطعَهما إِرْبًا إِرْبًا تحت وطأة عجلاته الحديدية، لتتطاير أشلاءهما في الهواء، في مشهد مريع للغاية، يعجز القلم عن وصف مدى بشاعته!..

وبعد مرور القطار الخاطف عاد الهدوء والسكون يخيمان على كافة أجواء المنطقة النائية تمامًا!...

***

ولج معاون مفتش المباحث إلى حجرة مكتب الأخير، وهو يحمل في يده ظرفًا أبيض مغلقًا بالشمع الأحمر، فاستقبله المفتش بلهفة شديدة،

واختطف منه الظرف، وفضه بلا رَويّة بواسطة فتاحة خطابات التقطها من على سطح مكتبه، وهو يتمتم في تفاؤل مفعم بالحذر:

– «أتعشم أن يأتي تحليل الحمض النووي للجثتين بجديد، يمحو الغموض عن طلاسم تلك الحادثة البشعة التي أودت بحياة رجل الأعمال اللامع الملياردير(رامز رسلان)، حسب هويته التي وجدت في سيارته بمكان وقوع الحادث».

أومأ له معاونه برأسه إيجابًا، وهو يتفرس في انطباعات وجهه حيال ما يقرأه، من فحوى تقرير الطب الشرعي، فجاوبه ارتداد رئيسه خطوة إلى الخلف مصعوقًا، وهو يغمغم في دهشة بالغة:

– «مستحيل.. فالتقرير يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن الجثتين لا يمتان بأدنى صلة لبعضهما البعض، وحسب شهادة الطبيب النفسي المعالج لـ (أدهم) أنه فَرَّ من المستشفى للثأر من أخيه».

أخذ شهيقًا عميقًا زفره بحرقة، ثم تابع قائلًا:

– «فكيف يتسنى أن يكون (أدهم) هو الضحية الثانية، في حين أن التقرير يجزم أنه ليس شقيق(رامز)! ».

سمع في تلك اللحظة طرقات هادئة على باب حجرته، فأذن للطارق في صرامة بالدخول، فدلف على الفور جندي الحراسة، ثم أدى التحية العسكرية، وهو يقول بهدوء الواثق :

– «هناك سيدة تلح بطلب الدخول لسيادتك يا أفندم، وتقول أنها زوجة المرحوم (رسلان السيوفي) ».

أشار له المفتش بكفه، وهو يقول بلهجة آمرة:

- « دعها تتفضل بالدخول فورًا، فلعل ما لديها يكشف الستار عن هذه القضية الغامضة».

انصرف معاون المفتش، وفي إثره جندي الحراسة المنصاع لتنفيذ الأمْر، وما هي إلا ثوانٍ حتى دلفت إلى المكتب سيدة مسنة، احمرت عيناها من كثرة الدموع التي ذرفتها، فأشار إليها بالجلوس، وحاول أن يداري مشاعر الحيرة التي عصفت بعقله، وهو يقول لها بشغف في لهجة مهذبة:

- « مرحبًا بكِ يا سيدتي.. كلي آذان مُصْغِية».

جلست ثم أجابته من وسط حزنها الدفين:

- « أهلًا وسهلًا بسيادتك يا أفندم ...لقد جئت الآن لكي أبوح لك بسر ناء كتفاي بحمله طيلة السنوات الماضية».

فركت كفيها في توتر ملحوظ، وهى تستطرد قائلة بآسى:

- «آن الأوان لأعلن الحقيقة على الملأ بعد مصيبتي بفراق الزوج والولد».

ازدردت لعابها في صعوبة لتشعر بغصة في حلقها، وهى تضيف في مرارة مشفقة:

- «منذ زمن بعيد ذهبت للمستشفى لكي أضع مولودي الأول ولكن».

صمتت برهة، وهي تحاول أن تجمع شتات أفكارها، فرمقها المفتش بنظرة متسائلة، وهو يقول في حيرة شديدة:

- « وما شأن ما حدث لكِ في الماضي فيما نحن بصدده الآن؟!».

التقطت أنفاسها بصعوبة، وهى تجيبه بانكسار، وبحروف تقطر وجع:

- «صلة وثيقة.. فما حدث من أخطاء في الماضي يدفع الحاضر للأسف فاتورتها، هذا لأنني لم أُنجب قط، وأُجهض الحمل ليضطر الأطباء آنذاك بسبب ورم خبيث إلى استئصال الرحم، ولأن زوجي الراحل كان يشتهى الولد؛ حتى يمنع أشقاءه من ميراثه لذا تفتق ذهنه على حيلة خبيثة، ليتمكن بسحر أمواله من الحصول على طفلين من حضانة المشفى، ونسبهم لنفسه».

ضربت كفًا بكف، وهي تستطرد في استكَانَةٍ بصوت متهدج:

- «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ*».

تضرج وجه المفتش بعلامات الذهول السافِر، ثم مط شفتيه في حسرة، قائلًا في امتعاض:

- «الآن تنجلي الحقيقة المُرة من نافلة القول، لنعرف أن الضحايا لم يكونا أخوة، كما أنهما ليسا أبناء شرعيين للمرحوم (رسلان السيوفي)!».

ندت من فاهه شبح ابتسامة هزلية، وهو يتمتم بتهكّم لاذع:

- «حقًا! تقدرون وتضحك الأقدار!»

قال عبارته الساخرة، لترفل بعدها الحجرة في صمت مهيب، فلم ينبس أحد الحاضرين بحرف، حتى بدد السكون دوي صوت صافرة قطار قادم من بعيد.

*[سورة الأنفال: آية ٣٠]

ملاك وشيطان

(هل تراهن أن الشر سينتصر في النهاية؟)

من عالم آخر تردد صدى تلك الكلمات في جنبات البهو الفسيح لبرج شاهق الارتفاع ينقسم إلى نصفين أحدهما مطلي بلون حالك السواد، والشطر الآخر فاقع البياض كان يجلس في جزئه الداكن مخلوق بشع الخلقة، عينيه مشقوقتين طوليًا كأعين الثعابين، يبرز من ناصيته قرنان ملتويان، يرتدي حرملة نارية يتراقص من خلفه ذيل طويل رفيع، وجه هذه العبارة إلى كائن مسالم وديع أشبه ما يكون بإله الحب(كيوبيد) ذلك الملاك الوسيم ذو الجناحين، والوجه الطفولي البرئ، كان يجلس على عرش أبيض زاهٍ أسبل جفنيه وهو يقول في صوت أشبه بالهمس:

- «محال يا (شازام) أثق أن الخير ستئول له عاقبة الأمور، وأراهنك بحياتي على ذلك! ».

نهض(شازام) من فوق عرشه، وخطى خطوات واسعة قبل أن يتوقف عن الخط الفاصل، وضغط على حروف كلماته وهو يقول بصوت بارد قاس:

- « اتفقنا يا عزيزي(خازام) سنرى لمن ستكون له الغلبة في الختام؟».

قالها ثم وجه بصره صوب تلك البللورة السحرية الضخمة التي تنقل أحداث تلك القصة التي تدور رحاها على الأرض في نزاع آزلي بين المتنافرين، الخير والشر.

❊❊❊

تسللت خيوط الضوء الفضية للقمر لتبدد شيئًا من الظلام الدامس لغابة مترامية الأطراف، ليَبدُو أن هُنَالك ظل شخص مفتول العضلات، متين البنيان، تفوح منه رائحة الفتوة، يرتدي عباءة رمادية اللون، ويغطى شعره بقلنسوة زرقاء، يمتطي جوادًا أدهمًا توغل في الغابة، وشق طريقه وسط الأشجار في تؤدة، حتى وصل عند حدود بحيرة طبيعية ضيقة تفيض بالمياه الغائرة، تطوق منطقة أشجار كثيفة، ترجل عن صَهْوة جواده، وزوى ما بين حاجبيه عندما أبصر على ضوء القمر الخافت صفحة الماء التي تعج بأسماك صغيرة من نوع (البيرانا) المتوحشة التي تتغذى فقط على اللحم تصاعدت من خلفه جلبة قوية، مع ارتفاع حفيف أوراق الشجر، فاستدار على الفور ليتبين مصدرها، وزوى ما بين حاجبيه، وجفل شاهقًا في ارتياع، قبل أن يصيح قائلًا:

– «ربَّاه.. من هذا؟!».

أخذ يحدق في زوج من عينين حمراوين بلون الدم أخذت تحملق فيه بوحشية وشراسة الدنيا، كان مخلوقًا عملاقًا يناهز المترين طولًا، ضخم الجثة، قبيح الخلقة من فصيلة تشبه الغوريلا، يدب الأرض بقدميه الضخمة المفلطحة، يحمل جسمًا مُغطى بشعر أسود كثيف، ذو أنف أفطس، وفم واسع كبير، تبرز منه أنياب حادة قاتلة، يبعث مرأه أقصى آيات الرعب والهلع في أوصال أشجع الشجعان.. ظهر بغتة وكأن الأرض انشقت وأنجبته من العدم..

دق الوحش الضاري على صدره بقبضتيه في تتابع قوي، وكشر عن أسنانه الحادة، وزمخر وهو ينقض على مفتول العضلات؛ الذي أخذ يعافره وينازعه، فعاجله الوحش بعقرة عنيفة، وهو يجثم فوقه بكل قواه فأرداه طريحًا على ظهره، مجندلًا فوق الأرض العُشبية، ثم نشب نصال مخالبه الماضية لينهشه في بطنه..

دار الرجل بجسده أرضًا فتفادى بأعجوبة مخالب الوحش، وبسرعة سلَّ خنجره الطويل الحاد من غمده، وأمسك مقبضه بقبضة من فولاذ، وبحركة جانبية ماهرة هوى بخنجره بكل ما أوتي من قوة عزيمة، غامدًا نصله حتى مقبضه في عين الوحش فاخترقها حتى نفدت ذُؤّابته من مؤخرت رأسه محملة بتلافيف مخه، وفي أعقابه نافورة غزيرة من الدماء القانية، لتنطلق من حلق الوحش صرخة رهيبة، زلزلت كيان مفتول العضلات وكادت من شدتها أن تمزق طبلتي أذنيه بعدها هام الوحش على وجهه وأخذ يدور بلا هدى حتى سقط في قلب البحيرة مباشرة، مُجندلًا من فوره، ومُضَرَّجًا بِالدِّمَاءِ، وسرعان ما تكالبت عليه تشكيلات منتظمة من أسماك (البيرانا)، وأخذت تنهش في جسده الخامل وتمزق لحمه بنهَم، حتى اضطربت هذه البقعة من البحيرة وبدت تتعرض للغليان وتخضبت المياه بالدماء القرمزية على مساحة واسعة، ولم تترك (البيرانا) فريستها إلا بعد أن أجهزت عليها، وحولت جسدها إلى هيكل عظمى مفرغ من اللحم تمامًا..

حدق الضخم في هذا المشهد المروع ليتنفس من بعده الصعداء، وبالطبع تجاهل المعبر الخشبي الوَاطِئ والذي تكاد المياه تُغطيه، وقفز

برشاقة قط بري ليتعلق بإحدى الألياف الطويلة المتدلية، وتأرجح به لحظة، ثم راح يقذف جسده إلى الأمام في قوة وإصرار، والأسماك المفترسة تتواثب من أسفل قدميه، حتى كادت تنهشها بأسنانها الحادة، لولا أنه قوس جذعه وهو يطير مندفعًا في الهواء حتى تجاوز البحيرة وبلغ الشاطيء الآخر، وهناك ترك جسده يهوي بعد أن ثنى ركبتيه لامتصاص صدمة السقوط، وأخذ يسعل ويلهث، وصدره يخفق في شدة من فرط الجهد والانفعال، وانتظر حتى هدأت أنفاسه المضطربة قليلًا، ثم نهض معتدلًا، وأمعن النظر، ليرى كوخًا خشبيًا شبه متهالك، يكاد يتوارى عن الأنظار خلف نباتات وأشجار الغابة الوارفة الضخمة، وصل إليه وعالج مزلاج نافذة الكوخ الجانبية، ونجح في التسلل للداخل في هدوء، ليلمح على وهج المشاعل المثبتة على الجدران خادمًا نحيلًا يرقد مستلقيًا بجوار الباب من الداخل، يغُط في نوم عميق، وعلى أطراف أصابعه تحرك بحذر شديد حتى بلغ باب دفعه في خفوت، ليدلف إلى داخل حجرة عتيقة الطراز، عظيمة المساحة، فاخرة الأثاث والرياش، تراقصت على وجهه ظلال برتقالية مخيفة، ألقتها نيران شموع في شمعدانات خُماسية تزخر بها أركان الحجرة، رَمَى نظرة تفيض بالمقت والكراهية على من تتدثر بالغطاء فوق الفراش الوثير، وبلا روِيَّة أخرج من غمد معلق بنطاق في خصره خنجرًا عجيبًا ذو نصل معقوق براق من الماس، وتقدم نحو الفراش، وعينيه تبرقان في وحشية، ورفع خنجره في الهواء بين قبضتيه، ثم هوى به يطعن من يخْلَدَ إلى النوم..

ويطعن..

ويطعن..

ويطعن..

***

تالقت عينا(خازام) وهو يضم قبضته علامة النصر المبين ويهتف بصيحة المظفر قائلًا:

– «هيا افعلها أيها الرجل واقضي على ساحرة الشر للأبد».

توترت أعصاب عدوه اللدود(شازام) فهب من مقعده وهو يقول في نبرة يعتريها الانزعاج:

– «هيهات.. هيهات يا عزيزي ليس بهذه البساطة ينتصر النقاء، هذا سابق لأوانه، فلنترقب ماذا سيحدث؟».

أومأ (خازام) برأسه موافقًا وهو يقول في ثقة مفرطة:

– «أجل فلننتظر ونرىَ».

***

فجأة تسمرالرجل في مكانه، وتوقف عن مواصلة الطعن، وقد فَطَنَ أن في الأمر خدعة ما، سقط فيها كالغِرِّ الساذج، وفي حركة عصبية متوترة أزاح طرف غطاء الفراش بنصل خنجره، فاِستَشاطَ غضبًا، وجن جنونه وهو يتطلع إلى الوسادة الحريرية الزرقاء الموضوعة طوليًا، والتي مزقتها طعناته، ثم بحركة غريزية رفع عينيه إلى أعلى، ولم يكد يفعل حتى انتفض جسده في عنف كالملسوع..

وفاغرًا فاه حملق مشدوهًا إلى امرأة باهرة الحُسن، جمالها بارد كالثلج، شعرها أسود فاحم مثل شلال ينسدل حول وجه تبرز فيه أهدابها الطويلة، المؤطرة بألوان قوس قزح، كانت غريبة الأطوار بحق في وضعية عجيبة متجمدة خلالها كالتمثال، ومعلقة ذاتيًا في فراغ الحجرة في تَحَدٍ سافر لقانون الجاذبية الأرضية.

ظهرها ملتصق بالسقف كالخفاش، وجفنيها ينفرجان في تلك اللحظة عن عينين واسعتين كحيلتين، تتألقان وتلتمعان بوهج جهنمي، حتى تحولت إلى سراجين مشعين كاد ضوؤها يغشي بصره، وهما يحدقان فيه بكل غضب، ووحشية الدنيا..

مضت لحظات تسيد فيها الصمت البليغ المطعم بالترقب الأجواء، أخذت خلالها السيدة تُبرق لجلادها بنظرة مُجابَهة، مفعمة بالشر، وسكن الموقف تمامًا، ليبدو وكأن عقارب الزمن قد توقفت عن الدوران، بعدها استعادت عينا المرأة حالتها الطبيعية، وكرد فعل تلقائي انتبه الرجل إلى أنه لا يزال يحمل سلاحًا فتاكًا، فهم أن يشهر خنجره الماسي، ليعيد الكَرّه وينقض عليها مرة أخرى، ولكن السيدة كان رد فعلها خاطفًا، أطلقت فيما يشبه مواء قطة ساخطة منزعجة، وهى تنفصل عن السقف لتهبط خلفه، وبضربة قوية مباشرة من باطن كفها لطمت سلاحه، فأطاحت به بعيدًا في أحد أركان الحجرة، فدار على عقبيه مزمعًا الفرار، ولكنها عاجلته بأن أمسكت بتلابيبه، ورفعته عن الأرض كما لو كان مجرد دمية صغيرة، هاتفة في لهجة تعُج بالتأفف والتبرَّم:

- «على رسلك يا رجل، إلى أين تفر مني؟!».

على إثر الجَلَبَةُ العنيفة، استيقظ خادمها النحيل من نومه فزعًا، وبصوت أجشّ أصدر همهمات غير مفهومة، تبرهن على كونه أَبْكَمُ، وهو يهرع صوب حجرتها لمؤازرتها، ولم تُعره اهتِمامًا، وأخذت تُشدد من ضغطة ذراعها على القصبة الهوائية للرجل الذي أيقن بأن حياته في خطر داهم بعد شعوره بآلام رهيبة تغزو عنقه، والهواء يحتبس عن صدره، وحاول الاستنجاد فخرج صوته مُتحشرجًا، وكان على شفا الاختناق حرفيًا، لولا أنها ولسبب ما طَرَحَتهُ عَلى الأرْضِ فاندفع إلى الخلف في عنف، ثم دار جسده حول نفسه رأسيًا، ليسقط على وجهه وكل عظامه تئن ألمًا، فنظَرت إليه شَزَرًا، وهى تصيح في بُغْضَ بغلظة هادرة:

- «ذق من كأس ناري، جزاءً ما اقترفت يداك أيُها السافل».

قالتها وهى ترفع قبضة يدها، وتكورها لتتألق ويصدر منها برق مفاجئ، دفعته دفعًا نحو غريمها الذي دار بجسده دورة خاطفة، مكنته من تفادي كرة البرق الصاعقة، التي ارتطمت بجدار الكوخ الخشبي، ثم واصلت طريقها لتنفذ منه إلى الخارج، بعد أن أضرمت النيران في خشبه، وبلغت ثوْرَةُ الغَضَبِ ذروتها بالسيدة وهي ترى الرجل يطلق ساقيه للريح ليخرج من الكوخ، وظل يركض ويركض فصاحت في خادمها النحيل، هاتفة في امتعاض:

- «هيا أيُها الأبله، أخمد هذه النيران، وأنا سأذهب للانتقام من هذا المجرم الأخرق».

اندفع خادمها نحو مركز النيران محاولًا الحد من انتشارها، لتسود جنبات الكوخ فوضى عارمة، مع ارتفاع ألسنة لهب راحت تلتهم أخشابه على نحو مخيف، في تلك الأثناء انطلق القاتل يعدو بقلب واجف وهو ينظر خلفه بَيْنَ الْفَيْنَةِ والأخرى، وفي نفسه وقر أنه قد أصبح مُطاردًا بمنتهى الصرامة والشراسة ظل ذلك الهاجس يؤرقه ويشغل تفكيره حتى انه لم يشعر بأنه يطأ موطئ خطر. فبسرعة وجد أطراف شبكة صيد مصنوعة من خيوط الصُلب القوية ترتفع لتحيط بجسده إحاطة السوار بالمعصم، وحملته إلى الأعلى قبل أن يرتطم جسده بغصن شجرة بكل قَسَوة، ولم يلبث أن ارتاع قلبه، وارتعدت فرائصه، بعد أن صار أسيرًا بين المطرقة والسندان، فأخذ يقاوم الشبكة المعدنية ويضربها في استماتة، ولكن سرعان ما تبين له أنه لا جدوى من المقاومة، فآثر الرضوخ بالاستسلام المؤقت، انتظارًا لما ستتخذه حياله السيدة التي اتجهت إليه بناظريها في شماتة واضحة، وهي تُصيح في غطرسة، بلهجة عدوانية صارمة:

– «ها نحنُ ذا نلتقي مرة أخرى يا صائد السحرة، ولكن الآن تبدل الحال فأصبحت أنت الفريسة وأنا الصياد».

عقدت ساعديها أمام صدرها، واستطردت تهتف في حزم لا يعرف المراوغة بصيغة استفهام تتوق لجواب:

– «لماذا تُريد قتلي بهذا السُّعَارُ المحموم؟!».

من شدة خوفه وَجَم صائد السحرة عدة لحظات، قبل أن يرد في تسليم:

– «العالم مكان سوداوي طالما ظل السحر يُعربد فيه، وقد قررت تخلص البشرية من عُتاة أشرار السحرة ذائعي الصيت أمثالك يا (شيراز)».

كورت قبضتها لتلظى بنار متأججة، وهي تُدمدم في غيظ دفين:

– «تتحاكى عن الشرُ، إذن فلتَنَلْ نصيبًا موفورًا من عذابي الأليم».

على الفور أيقن أنه فِي عِدَادِ الْمَوْتِ، فحاول في لحظاته الأخيرة أن يُداري اضطرابه، ليَبدُو متماسكًا ولو ظاهريًا، ولكن رغمًا عنه خذله صوته فخرج متلعثمًا، وهو يهتف صاغرًا:

– «أتضرع وأطمع في عفوك يا ذات القلب الرؤوم».

ران الصمت لبُرْهَةٍ قصيرة من الوقت، ثم بغلظة سألته(شيراز) في اشمئزاز، وهي مُقطبة الجبين:

– «وما القُرْبان الذي ستقدمه نظير عتق رقبتك يا أسيري العنيد؟»

طافت بمخيلته الأهوال الفظيعة التي خاضها، حتى حاقت به هذه المصيبة، ولذلك فقد بدر في ذهنه عرض قد يُنجيه من الهلاك، فتعلق بحبال الآمال المهترئة، وهو يجيبها بنبرة تحمل رنة الضراعة والتوسل:

– «في مُقابل عفوك سأدين لكِ بحياتي، وأصبح خادمك المُطيع».

انفرجت تقطيبه جبين(شيراز) فهزت كتفيها، وقالت في بساطة، وثقة تُحسد عليها:

– «تستهويني بالفعل فكرة العفو عنك تقديرًا لقلبك الشجاع وبسالتك النادرة، ولذا فقد قررت أن أهبُك صفحي الجميل.

قالتها وهي تدفع كرة لهب باتجاه الحبال المُتصلة بقمة الشبكة، فوجدها تهوي به لتعيده إلى الأرض، وهي تستطرد مُستفهمة في تَشَفّ واضح:

– «بما تُدعى يا صائد السحرة سابقًا؟»

بأسارير مُتهللة أخذ يُحرر نفسه من حَبَائِلَ شبكة الصَّيْدِ، وهو غير مصدق خروجه سالمًا من هذا الكَمِينَ المحكم، ثم سرعان ما تغير حاله إلى النقيض، فانحني بجذعه، وخفض عينيه، وأجابها في مذلة:

– «عبدُك المطيع(شيكان) في خدمتك يا سيدتي».

– «كلا.. بل سيكون اسمك مُنذ هذه اللحظة (ألفا) وستُشكل مع الخادم (بيتا) فريقًا رائعًا لخدمة أهدافي المستقبلية».

***

ران الصمت والسكون للحظات قبل أن يقف (خازام) مطأطأ رأسه وسار بخطوات متثاقلة حتى وصل لحدود الخط الفاصل بين الظلام والنور وكان في انتظاره (شازام) بأوداجه المنتفخة، ووجهه الدميم، وذيله الذي يتلاعب خلفه، ولم ينبس الأول ببنت شفة وهو يخطو بجرأة ليعبر إلى الجانب المظلم فتلقفه الأخير وبلا رحمة أو هوادة راح يعتصر عنقه النضر اعتصارًا بيديه العاريتين ولم يتركه إلا بعد أن أجهز عليه تمامًا..

واكب ذلك أن كسى الأسود على الأبيض ليصطبغ كل شيء بالسواد وابتسامة(شازام) الشيطانية تتسع وتتسع لتضفي على المشهد القاتم شرًا مستطيرًا فاق كل الحدود.

القسم الثاني

تصنيف:خيال علمي

وجاءت الكارثة

دوى هزيم الرعد ممزقًا سكون تلك الليلة الباردة الظلماء، بينما أخذ البرق يتلوى وهو يشق أجواء الغيوم الرمادية التي تلبدت بها السماء معلنة عن هطول الأمطار بغزارة غير مسبوقة على الأراضي المصرية، مُنصبة فوق الشوارع الخاوية تمامًا من البشر، القابعين في بيوتهم مُرغمين، ليس هربًا من عضة البرد وسيول الأمطار فحسب، بل من أهوال الكارثة الكبرى التي تهدد الجنس البشري بالفناء، والمعروفة طبيًا باسم (كوفيد ١٩) أو فيروس كورونا المستجد الذي اجتاح أرجاء الكرة الأرضية، وتوسعت به هوة الموت لتبتلع العالم كله، وجعلت البشرية تعيش أيامها ولياليها تحت وطأة الذعر والخوف..

ومن داخل ردهة مبنى كائن في منطقة هادئة منعزلة انبعث صوت تلفاز يبث مشاهد مأساوية متفرقة من شتى بقاع الأرض تقشعر من هولها الأبدان تصاحبها تلك العبارات المُفجعة الأليمة:

- «أعلن وزراء الصحة في كافة دول العالم الفشل الذريع لمنظوماتهم الصحية في التصدي للوباء، لذا هناك اتجاه عالمي لمحاولة إنقاذ الفئة العمرية لسن الشباب، مع ترك المسنين والعجائز لقدرهم المحتوم!».
- «من جراء الجائحة للوباء القاتل المستعر كانتشار النار في الهشيم، ظل بضع مئات من البشر على قيد الحياة ما بين حامل

للفيروس وآخرين يتكدسون في المستشفيات يعانون من الاختناق خلف أجهزة التنفس الصناعي المحدودة!».

- «مع تزايد أعداد الضحايا عمت الجثث العالم، وها هي مناظر مُتفرقة لمقابر جماعية في الولايات المتحدة الأمريكية، وأيضًا دول القارة العجوز(أوروبا)!».
- «المختبرات والمعامل الطبية حول العالم تؤكد على مواصلة الليل بالنهار للتوصل إلى لقاح يحمي البشرية من الوباء الفتاك!».

في حجرة مزودة بأحدث الأجهزة الطبية، بداخل هذا المبنى كانت تتواجد فتاة طويلة هيفاء، ذات شعر كستنائي قصير، قالت بنبرة يُغلفها القلق والانزعاج:

- «لا تفقد صلابتك المعهودة يا أبي ...ستتغلب على هذه المحنة سريعًا بإذن الله تعالى».

بقسمات وجه يغشاه الشحوب، بدا ذلك الشيخ الطاعن في السن مُستلقيًا على الفراش، وعشرات الخراطيم والأسلاك تتصل بجسده، لتنقل إليه سوائل الحياة، ومن خلف قناع الأكسجين النقي، وبأنفاس لاهثة غمغم بصوت متقطع في أسى:

- «الأعمار بيد الله يا (حور) فأنتِ عالمة مُطلعة وكما ترين حالتي الصحية متدهورة للغاية، والشواهد تجزم بأن هذا الفيروس لا فكاك من أن يردي الكهول أمثالي في نهاية المطاف و... ».

قاطعته(حور) وهي تهوي بقبضتها فوق راحتها، وبصوت أرادته قويًا، ولكنه خذلها فخرج واهنًا من وراء الكمامة الطبية:

- «مُحال يا أبي أن تموت هكذا.. لا بد من وسيلة فعالة للشفاء من هذا المرض اللعين!».

ران صمت مهيب على أجواء المكان، استغرقت خلاله (حور) في تفكير عميق، وضاقت حدقتاها قبل أن تنهض من فوق طرف الفراش وعيناها تبرقان بشدة، وكأنها وجدت أخيرًا طوق نجاة تشبثت به، وهي تهتف بحماس منقطع النظير:

- «أجل لم يفت الوقت بعد، بالفعل لا تزال هناك بارقة أمل».

أشارت إلى والدها وبلهجة مطمئنة هتفت وكأنها حسمت أمرها:

- «سأذهب الآن يا أبي وأعدك بأني لن أعود إلا والمصل بحوزتي».

قالتها ولم تنتظر منه تعقيبًا، بل دارت على عقبيها مغادرة الحجرة لتتجه من فورها نحو قبو المبنى، وهناك توقفت داخل معملها الصغير ترمق تلك الآلة التي طورتها بصفتها عالمة في الفيزياء، مُهتدية بنظريتي النسبية العامة والخاصة للعالم الألماني الفذ(آلبرت أنيشتاين) وعلى أسس القواعد والمعادلات التي وضعها العالم الروسي(فاديم تشيرنوبروف) مُخترع أول آلة زمن يمكنها السفر إلى المستقبل عام ١٩٩٧ م..

كانت آلة زمن محدودة عبارة عن كرة مصقولة صفراء، يبرز من أسفلها قائم معدني قصير، ينتهي بقاعدة من المكثفات المُتصلة بكابلات كهربية للضغط العالي..

على الفور قامت (حور) بارتداء زي واقي فضي لامع من قطعة واحدة، وبلا روية دلفت إلى جوف الكرة وبحزام قوي ثبتت نفسها جيدًا في مقعد القيادة، ثم أخذت شهيقًا عميقًا زفرته بحرارة وهي تضغط إشارة البدء الحمراء لتبدأ الآلة عملها مع دوران الكرة وهي تتألق على نحو تصاعدي، ثم حددت الزمن المطلوب بلوغه، ورأت الأرقام تتراص على الشاشة، وفجأة بدأت الآلة تهتز لتتهيأ للانطلاق، وفركت(حور) كفيها في انفعال شديد، وهي تراقب ما يحدث حولها من تطورات، وغمغمت مُخاطبة آلة الزمن وكأنها ولي حميم:

- «أعلم أنها تجربتك الأولى للسفر عبر الزمن، وللأسف لم أفرغ بعد من دراساتي لأعرف تأثير الانتقال على الخلايا الحية، ولكن للضرورة أحكام!».

اغرورقت مقلتيها بالدّموع، وهي تردف بحزن مرير:

- «أرجوكِ لا تخذليني ..فأبي يحتضر!».

مع سرعة دوران الكرة تعاظم توهجها حتى صارت مثل شمس صغيرة ساطعة، وبدا وكأن جدران القبو قد تلاشت لتظهر من خلفها السماء والليل والنهار يتعاقب عليها في سرعة مذهلة، وشعرت (حور) بأن أوصالها تتفكك وكيانها كله ينهار، فهوت في غيبوبة عميقة، مع تناهي إلى مسامعها دوي فرقعة قوية تصم الآذان، ثم انبعث من الآلة وميض مبهر قوي غمر أرجاء المكان، وما إن انحسر الضوء حتى كانت آلة الزمن قد اختفت تمامًا..

ولم تدرِ (حور)كم مضى من وقت، قبل أن تستعيد وعيها، لتجد نفسها داخل آلة الزمن، فحدقت في شاشة جهاز التوجيه لتجد تاريخ الوصول..

(العاشر من يونية عام ٢١٧٠).

ارتسمت ابتسامة ارتياح عظيمة على صفحة وجه (حور) بمجرد تأكيد كل المعطيات نجاح وصولها سالمة إلى المستقبل، وما كادت تخطو نحو باب الخروج حتى اقشعر بدنها وهى تغادر الآلة لتستكشف عن كثب موقعها الجديد، وأخذت عيناها تجولان في المكان فوجدت نفسها في منطقة أطلال نائية على أطراف المدينة، ورأت على مرمى بصرها ناطحات سحاب شاهقة، وفغر فاهها في انبهار وهي تنظر للسماء لترى شمس صناعية تغمر المباني الهائلة، ومن فوقها تظهر قبة بلورية شفافة تغطي الأفق وتعزل المدينة عن الكون..

ترجلت حتى وصلت إلى حدود مدينة مُتطورة يشقها نهر عظيم تنتشر الأشجار الصناعية العملاقة على طول ضفتيه، وهناك راح بصرها يدور في أنحاء المدينة لترى بيوتًا زجاجية وأخرى مُشيدة من البلاستيك بينها جسور وكباري بلورية مُعلقة ذاتيًا في الفراغ، ومن أسفلها طرق بيضاء ممهدة، ذات جنبات مرصوفة باللون الأخضر، عبرت إحدى هذه الطرق فغاصت قدماها في قارعة الطريق كأنه مُشيد من القطن، وبجوارها كانت تنطلق مركبات ووسائل مواصلات عصرية منخفضة، مستطيلة ومخروطية الشكل مصنوعة من معدن لامع

سميك للغاية، تظللها سيارات دائرية طائرة تحلق في الهواء، وتخترق في طريقها لوحات هولوجرافية مُجسمة تعرض إعلانات ملونة!.

هذا هو عالم الغد المتقدم كما لم تتخيله قط، حيث الطفرة التكنولوجية المدهشة، فيه كل شيء يدار آليًا!..

استحوذت تلك المشاهد على حواسها، لذا لم تنتبه لتلك السيارة الصاروخية التي اندفعت نحوها بسرعة مخيفة، وقائدها يتفادى الاصطدام بها، بإطلاق وسادة هوائية ظلت تدور حول السيارة، حتى كبحت جماحها، لتتوقف السيارة على قيد نصف متر من(حور) التي أطلقت شهقة عنيفة، وراحة السائق تبرز من نافذة السيارة، ليظهر بها فيما يشبه الساعة الرقمية، قبل أن يضعها فوق مربع أزرق ظهر فجأة في الفراغ، وكأنه نبت من العدم، مع انبعاث صوت أنثوي آلي هادئ يقول:

- «غرامة سير رقمية لتجاوز السرعة المقررة».

ظهر على ساعد السائق صف من الأرقام أخذ في التقلص، ولم يتوقف سوى مع تغير المربع للون الفيروزي تصاحبه نغمة رقيقة، ثم تلاشى المربع كما بدا!..

أطرقت (حور) برأسها وهي تشير للسائق علامة الاعتذار، قبل أن يمضي مرة أخرى في طريقه، لا يلوى على شيء، ولكن هذه المرة بسرعة منخفضة نسبيًا!..

أكملت (حور) طريقها حتى يتسنى لها السؤال عن أقرب مشفى تجلب منه لقاح الفيروس، ثم توقفت في الطريق لتشاهد تلك المطاردة

العجيبة التي تدور رحاها على مقربة منها، بين شخص يعدو بكل قواه ليفر هاربًا، وهو ينظر بين الفينة والأخرى إلى راحته التي تعج بالأرقام، ومن خلف شخص يرتدي زي الشرطة، نفد صبره مع اتساع هوة المسافة بينه وبين من يدعي بأنه لص شقي، فراح ينادي علي المارة لكي يمسكوا به، وبدا وكأن أحدًا لا يبالي بما يحدث، فكان مصير استغاثته التجاهل التام، لذا لم يجد الشرطي أمامه بُدًّا سوى أن يتوقف ويستل مسدسه، ليطلق منه حزمة قوية من الليزر أصابت ظهر اللص، ليسقط من فورة أرضًا مثل الحجر!..

كل ذلك لم يسترعَ انتباه الزبائن الذين يعج بهم ذلك السايبر الحديث، الخالي من أي مسؤول، فقط عملاء من جميع الفئات، المدهش في الأمر أن ملامحهم مُتماثلة تقريبًا، يناهزون المترين طولًا، ذو بشرة ملساء، كأنهم لم يصابوا طيلة حياتهم بخدش واحد، لاحظت أن مع خروج بعضهم من السايبر الذي يعمل آليًا، يتبعون نفس النمط الذي أقدم عليه السائق المتهور، حيث يظهر لهم المربع ذو اللونين الذي يُحَصِّلُ منهم أوقاتهم، في مُقابل الخدمات الترفيهية التي يقدمها إليهم السايبر الرقمي!..

حانت من (حور) التفافة نحو مبنى قريب مكتوب على واجهته بأضواء فسفورية (مصرف الزمن)!..

يروح ويغدو إليه العديدون، وجدت أناس يدلفون إليه وهم ينظرون إلى كفوفهم في حزن، وآخرون يخرجون بأسارير متهللة بعضهم

واضعون أيديهم داخل جيوبهم، والبعض الآخر يتقفزون بقفازات سوداء!.

اعتصرت (حور)خلايا عقلها الرمادية في إجهاد لكي تفهم حقيقة ما يدور حولها من أشياء تراها ولا تستطيع تفسيرها، وجاءها الجواب بسرعة البرق مع ظهور ذلك الفيلم الوثائقي الهولوجرافي الترويجي بمشاهد مُصاحبة:

- «منذ قرن ونصف وإبان ظهور وباء(كوفيد١٩) واعتماد تصنيع الروبوتات رسميًا بوعي بشري كامل، بهدف خدمة الإنسان ومساعدة الدول في الإجراءات الاحترازية، والقيام بعملية التباعد الاجتماعي للحد من تفاقم وتوسع نشاط الفيروس، الذي تحور وتطورت أجياله التالية بكل ضراوة وشراسة، حتى تمكن من الانتشار في الهواء بشكل مدهش!..

وكان ذلك سببًا مباشرًا في إبادة البشرية كلها عن بكرة أبيها، ومنذ ذلك الحين وبني جنسنا يحكم ويسيطر على مقاليد الأمور على كوكب الأرض، وبعد أن تمكن السادة الأوائل من الاستحواذ على التكنولوجيا، قاموا بتصنيع الروبوتات الآلية المزودة بتوقيت قابل لكسب المزيد من الوقت وإنفاقه كيفما شاءوا، بعد أن أمسى الوقت هو العملة الوحيدة المتداولة رسميًا!..

واليوم صار الحلم في الإمكان باقتناء خادمك الآلي المُطيع ذو الذكاء الاصطناعي الفائق بفضل الفقاعات المغناطسية المدعومة بالسيليكون، وبللورات الكوارتز التي تحل مكان الخلايا العصبية

للإنسان، روبرت مُصنع من رقائق المعادن والمطاط، مُغلف بطبقة من جلد بشري طبيعي مستخرج من ضحايا الوباء!».

جفلت(حور) وكادت عيناها تثبان من محجريهما وقد هالتها رؤية المشاهد التاريخية لتلك المأساة الإنسانية المروعة، وما حاق بالبشر من هلاك، نجت منه بأعجوبة، لتصبح آخر البشر حرفيًا، لذا لم تتمالك أعصابها أمام ذلك الفيض الغزير من المعلومات المفزعة، التي تفوق قدرتها على التحمل والصبر، فهوت أرضًا وقد اكتنف رأسها صداع شديد، مع سعال خرج من حلقها جافًا، لينتابها اليقين بأنها قد أصيبت بعدوى الفيروس، وهي على مشارف أعراضه القاتلة، فتحجرت عيناها وهي تنظر إلى الأفق البعيد في استسلام تام.

عين السماء

هطلت الأمطار بغزارة غير مسبوقة بعد مشرق الشمس بقليل، في ذلك الصباح من أيام الشتاء، ولم تكد عقارب الساعة قد بلغت السادسة بعد، حتى أدرك الجميع من ضباط ونزلاء سجن (ليمان طرة) أن ذلك اليوم سيكون استثنائيًا، فقد ارتفعت فوق قمة أعلى أبراج مبنى السجن راية سوداء تشير أن حكمًا بالإعدام شنقًا سيتم تنفيذه قبل أن ينتصف النهار، وأن شخصًا سيلقى جزاءه العادل جراء ما اقترفت يداه يومًا.

ومع اقتراب العاشرة صباحًا سيق المتهم(جلال عابد) إلى حجرة تنفيذ الأحكام، وهو يجتر مرارته وأحزانه، بوجه شاحب وجسد بات منكمشًا في حلة السجن الحمراء، محكومًا بين قبضات قوية لحارسين من حُراس السجن الأشداء، راحوا يجرونه جرًا، وساقاه ترتجفان في انهيار، وإلى جوارهم سار بخطوات متثاقلة واعظ السجن، الذي كان في تلك اللحظات يوجه حديثه إلى المتهم محاولًا بث روح الطمأنينة في فؤاده المُلتاع بكلمات ربانية إيمانية، وهو يستحثه على الاعتراف بجريمته والإقرار بذنبه والندم عليه، واستغفار ربه وطلب عفوه ورحمته..

وعلى رأس الموكب المهيب كان يتقدم مأمور التنفيذ برفقة مدير السجن، لينتهي بهم المطاف إلى حجرة الإعدام الرهيبة التي

انهار(جلال) على أعتابها والحراس يدفعونه داخلها لترتعد فرائصه، وتجحظ عيناه رعبًا، وكاد يسقط مغشيًا عليه، وهو يرى حبل المشنقة يتدلى أمامه، من قمة قائم خشبي سميك، تتضح من أسفله مباشرة منصة خشبية يتوسطها مستطيل مُعد بحيث ينفتح تلقائيًا على إثر دفعة لذراع معدنية مائلة، كان ينتصب إلى جوارها رجل ضخم الجثة، كث الشارب، مُلقب بـ (عشماوي)..

ازدرد (جلال) لعابه بصعوبة بالغة، ثم لوح بيده وهو يتحدث في صوت مُتحشرج من فرط ذعره:

- «لا.. لا.. أرجوكم ارحموني فأنا لم أقتل أحدًا قط».

قال الواعظ في صوت هادئ وقور:

- «فليتغمدك الله برحمته يا ولدي».

اغرورقت عينا(جلال) بالدموع، ثم عض شفته السفلى، وهتف مُستعطفًا في صوت خفيض:

- «ارحموني أنتم أولًا، واتركوني أحيا».

أجابه الواعظ بحنان أبوي في صوت خاشع:

- «تأتي الرحمة في تنفيذ القصاص يا بني.. ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب».

أجهش (جلال) بالبكاء، وانتحب بحرارة، ومن وسط شلال دموعه المنهمرة صرخ قائلًا:

- «لا.. لا.. امنحوني فرصة لإثبات براءتي».

لم يبالِ أحد بصرخاته وتوسلاته، في حين أخذ الواعظ يتلو آيات من القرآن الكريم بصوت عذب رخيم، وما كاد ينتهي حتى اقترب المأمور من (جلال) وربت على كتفه، وهو يسأله في صوت خافت مشفق:

– «ألديك مطلب أخير؟!».

أسْقط في يد (جلال) وقد أيقن بأنه يحيا آخر لحظات حياته، وأحس بروحه توشك أن تفارقه وتنساب من بدنه، فهز رأسه بالنفي، وهو يغمغم بنبرة تقطُر مرارة:

– «كلا.. لم أعد أرغب في شيء».

تراجع المأمور خطوتين للخلف، وراح يقرأ برصانة نص حكم الإعدام النهائي الذي صدر ضده حتى انتهى بتلك العبارة المخيفة الإعدام شنقًا..

ما كاد المأمور يفرغ من تلاوة الحكم، حتى أشار في آلية إلى (عشماوي) الذي أمسك بذراع(جلال) ليقيد معصميه خلف ظهره، ثم انحنى يوثق كاحليه، قبل أن يعتدل ليخفي وجهه بقناع أسود غطى رأسه وحتى عنقه، ثم لف حبل المشنقة حول رقبته في إحكام، قبل أن تمتد يده لتقبض على تلك الذراع المعدنية في تحفز، والتفت إلى المأمور وهو على أهبة الاستعداد ليسأله الأمر بتنفيذ الحكم، بجذب الذراع لتنفتح الكوة المستطيلة أسفل قدمي(جلال) وينتهي كل شيء تمامًا.

وفجأة في تلك الأثناء، وكما يحدث في بعض الأفلام السينمائية التقليدية القديمة وصل المحامي الخاص بـ (جلال) وهو يلهث ويلوح بورقه رسمية في يده هاتفًا:

– «أوقفوا تنفيذ الحكم ..أوقفوه».

وكانت مفاجأة عجيبة للغاية، وغير متوقعة للجميع بلا استثناء، وأولهم لـ (جلال) نفسه الذي تنفس الصعداء، وشهق على نحو غريب وكأنما عاد بالفعل إلى عالم الأحياء بعد موت معنوي دمر كيانه منذ لحظات.

وراجع مأمور التنفيذ ومدير السجن الأمر بنفسيهما، وتأكدا من صحته، ومن أن النائب العام قد أصدر قرارًا بوقف تنفيذ حكم الإعدام، وذيله بتوقيعه وختمه..

أطلق المحامي من أعماق صدره تنهيدة ارتياح حملت كل ما يموج به من انفعالات ومشاعر، وراحت ذكرياته تسبح به في بحرها المتلاطم إلى زمن قريب جدًا..

عندما التقى مصادفة في مقهى شهير مع صديقه العالم بالأرصاد الفلكية، ومعيد كلية العلوم الدكتور(مفيد شاكر) ، وبرغم قسوة الضوضاء التي تعم المكان فقد وجد الصديقان ركنًا منزويًا

يجلسان فيه أقل ازدحامًا وأكثر هدوءًا ونقاءً، وبعد تبادل عبارات التحية، وسرد أسباب انشغال كليهما بالسؤال عن الآخر، وعذرهما في خضم مشاغل الحياة وتقلباتها، استطرد الدكتور (مفيد) قائلًا له وقد استبد به الانفعال:

- «كما تعلم يا(أدهم) بأني قد وهبت حياتي وكرستها لعلم الفلك، ولذا اشتريت منذ مدة منزلًا في مدينة المقطم الجبلية النائية أقطن فيه وحيدًا أعزب، وفي إحدى الليالي القمرية وبينما كنت أتابع عن كثب ما يرسله التليسكوب الفلكي الرقمي، ومع تفقد شاشة الكمبيوتر الحديث، تراقصت أمام بصري ومضات متقطعة لها وقع غريب، كأنها إشارة منتظمة لها إيقاع متغير على نحو يوحي بأنها مقصودة وليست مجرد نبضات كونية، يصاحبها صفير تعتريه بين الحين والآخر هنات من العلو أو الخفوت..

وبلغ فضولي ذروته فرحت أتساءل ترى من أين تأتي هذه الإشارات الغامضة، وما حقيقة كنهها؟!

أهي رموز لغة غير معروفة تفد من كوكب مجهول؟!

ترى فأي الكواكب مصدر الومضات والسماء تزخر بملايين الملايين منها؟

فأسرعت بالضغط على مفتاح تشغيل الجهاز الخاص بالتصنت على الموجات الإشعاعية المنبعثة من النجوم والكواكب، ومواد الكون على اختلاف أحجامها وأنواعها، وراح جهاز الحاسوب يجري معادلاته وحساباته ويقيس أطوال الموجات الإشعاعية وأذهلتني النتيجة بحق.

حينئذ تناولت التليسكوب الفلكي ومن خلال عدسته المقربة شملتني رجفة من قمة رأسي إلى أخمص قدمي، وأنا أشاهد الجرم السماوي يعبر السماء وئيدًا في اتجاه الجنوب!..

تسمرت مبهورًا مأخوذًا أنها المرة الأولى على كثرة مراقبتي للسماء التي أطالع فيها شيئًا في مثل هذه الروعة والبهاء، لقد بدا الجرم السماوي بضوئه اللامع وبتلك الغمامة الزرقاء تغلفه، وكأنه أسطورة شعرية بالغة السمو والنقاء!».

التقط الدكتور(مفيد) نفسًا عميقًا زفره بحرارة قبل أن يردف قائلًا:

- « وما أن حل الكمبيوتر رموز الرسالة الوافدة من الكوكب المار قريبًا من أرضنا ذهلت عندما وجدتها تنطق بالعربية، فهذا الكوكب يبعد عنا بمسافة سنة ضوئية، أي أن الصورة التي رأيتها من نافذتي للكوكب لم تُعبر عن حقيقته الراهنة وإنما هي صورته منذ عام مضى، ولقد أخبرتني مخلوقات هذا الكوكب بأنهم قد ابتكروا أسلوبًا للتخاطب بالبث في المستقبل لم أدرِ كنهه، وأن رسالتهم إلى كوكبنا قد قدر لي أن أتلقاها دون غيري من البشر!».

نقر (أدهم) بإصبعه على رخام المنضدة دون أن يحرك بقية جسده فقد تصلبت فقرات عنقه من طول التحديق والإنصات، وتمتم في نبرة أجشة:

- «على قدر فهمي أرى أن رسالتهم إلينا ببثها من حاضرهم الذي هو مستقبلنا، تصلنا في نفس لحظة خروجها من كوكبهم، لذا فلا وجود لفارق الزمن الذي قدرته بسنة ضوئية!».

تهللت أسارير الدكتور (مفيد) لتوافق ما يسمعه مع قناعاته، وأراد إشباع فضول(أدهم) للمعرفة فأكمل حديثه:

- «يقولون في الرسالة أن كوكبهم ضعف حجم كوكبنا، والجاذبية عليه تبلغ نصف قدرها لدينا، لذا فهم يصفون أنفسهم بأنهم نحاف قصار خفيفو الحركة إلى حد كبير، يماثلونا من كافة النواحي والشخص لديهم يقارب في الطول والوزن نصف شخص من أهل أرضنا!».

سأله (أدهم) في شغف يتوق للمزيد:

- «وما الذي احتوت عليه رسالتهم أيضًا؟!».

أجابه الدكتور(مفيد)في ثقة مفرطة:

- «إنهم يركزون نشاطهم اللاسلكي في الآونة الحالية على الشرق الأوسط، ولهذا السبب كان بثهم للرسالة باللغة العربية، لقد أخبروني بأنهم يقومون حاليًا بتسجيل بعض المشاهد اليومية في أماكن متفرقة بالتحديد من مدينة القاهرة، بواسطة ألات تصوير متطورة مركبة على تليسكوبات ضخمة فائقة الحساسية، وتستخدم موجات الأشعة الحمراء، مع ملاحظة أن الأحداث التي يشاهدونها ويقومون بتسجيلها إنما هي قد تم وقوعها لدينا منذ عام مضى!».

مد (أدهم) يده وقبض على رسغ(مفيد) في عنف، وحملق فيه بعينين زائغتين:

- «تقول أنهم يقومون بتسجيل أحداث وقعت بالقاهرة منذ عام؟!».

أومأ الدكتور(مفيد) برأسه إيجابًا، فترك (أدهم) رسغه ليعتدل في جلسته ويقول في جدية، ووجهه ينضح بفرحة غامرة:

- إذن فبمقدورك أن تقدم لي خدمة جليلة.

ارتسمت الحيرة على عيني الدكتور(مفيد) وهو يقول مُستفهمًا:

- «أي خدمة تريد؟!».

استدار (أدهم) يواجهه وهو يرد عليه سؤاله بآخر:

- «قل لي أولًا هل تستطيع مخاطبة هذه المخلوقات الفضائية؟!».

هز الدكتور (مفيد) رأسه وهو يجيبه:

- «أظن أنه أمر يمكن تحقيقه... إنني أعرف مكان كوكبهم بالضبط، فلدي أطوال موجات إرسالهم، وأيضًا مفتاح رموز التراسل معهم، كذلك لا بد أنهم في يقظة يترقبون أقل بادرة رد على الرسالة التي بعثوا بها».

ضاقت حدقتاه وهو يضيف:

- «أتعشم فقط أن يتم تلقيهم لردي بطريقة المستقبل التي ابتكروها وإلا فلن يصلهم قبل عام، والآن ماذا تطلب مني بالضبط؟!».

مال (أدهم) في اتجاه الدكتور(مفيد) وهو يهمس قائلًا:

- «أعرنِ سمعك بأكمله يا صديقي».

وفي كلمات مركزة راح يسرد عليه ظروف وملابسات القضية التي يتولى المرافعة فيها قضية رجل الأعمال(جلال عابد)، الذي أدانته الأدلة بقتل زوجته وشريكته في مصنع الملابس الجاهزة السيدة(إلهام داغر)، فهما يعيشان سويًا في فلتهما الخاصة بعد زواجي ولديهما

واستقرارهما بعيدًا عنهما، وكان (جلال) دائم الشجار والخلاف مع القتيلة على حسب إجماع أقوال الجيران وأيضًا مرؤوسيهم في العمل وفسر (جلال) ذلك بسبب تجرئها على سبه مرارًا وتكرارًا واتهامه بالجشع والطمع في أموالها، وقد أبلغ (جلال) الشرطة بعد عثوره على زوجته في حديقة الفيلا، وهي تنازع الموت وحدها على إثر طعنة نجلاء من مجهول فر هاربًا عقب ارتكابه لجريمته، فسارع (جلال) لنجدتها حين تناهت إليه صيحتها الفزعة المكتومة، ولكن مع وصوله إليها وجدها قد لفظت أنفاسها الأخيرة بين يديه، لذا حضرت الشرطة لتجد ملابس (جلال) ملوثة بدماء الضحية، وبالتالي كانت بصماته وحدها على جثمانها وملابسها، ولقد كان دفاعه عن نفسه واهيًا يدحضه عدم العثور على آثار أو بصمات لأحد غيره في مكان وقوع الجريمة، وبالرغم من البحث الدقيق لم يتم العثور على أداة ارتكاب الجريمة، وهي السكين الحاد كما رجح الطب الشرعي، ولم تفلح المحاولات المتكررة لحمل المتهم الأول(جلال) على الإرشاد إلى مكان إخفائها.

وأنهى(أدهم) حديثه بقوله:

- «ولما كان يوم ارتكاب الجريمة يتفق حدوثه في مثل الغد مساءً، ولكن منذ عام منقضي، لذا فأنا أهيب بك أن تطلب من سكان هذا الكوكب أن يقوموا بتسجيل كيفية ارتكاب الجريمة حتى نتأكد من القاتل الحقيقي، وأيضًا مكان إخفائه السكين أداة القتل».

فأذعن الدكتور(مفيد) في النهاية لرغبة صديقه(أدهم)، الذي سارع بالذهاب لمكتب النائب العام، وقدم له تقارير طبية تثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن المتهم(جلال) مجنون رسمي وغير مسؤول عن أفعاله، ونظرًا لهذه التقارير نجح بالفعل في استصدار أمرًا من النائب العام بإرجاء تنفيذ حكم الإعدام حتى تنجلي حقيقة هذه الجريمة البشعة، ويتم العثور على مكان إخفاء الأداة المستخدمة في القتل..

وفي مساء نفس اليوم تواجد (أدهم) برفقة الدكتور(مفيد) وهو يبرق إلى الفضائيين بكافة تفاصيل هذه القضية، وجاء الرد المُفحم بفيديو مُسجل للحظة وقوع الجريمة، مرفق معه رسالة سارع الدكتور(مفيد) بحل رموزها في فضول يكاد يقتله رسالة مُفاداها:

– «أن الجاني هو هو المدعو(جلال عابد)!».

والسكين أداة ارتكاب الجريمة الملوثة بدم القتيلة، مخفاة في علبة من الورق المقوي دفنت في بقعة مُعينة بحديقة الفيلا موضح مكانها في الفيديو المرفق.

وعلى ضوء المعطيات الجديدة، ألقيا بالمحامي (أدهم) وشريكه الطبيب المحتال في غياهب السجن، على خلفية تضليل العدالة، وتقديم تقارير طبية مزيفة، وارتفعت الراية السوداء مرة أخرى على سجن (ليمان طرة)، واقتيد المجرم (جلال) بلا اعتراض ودون أن يتفوه بكلمة واحدة، إلي حبل المشنقة الذي أحاط بعنقه، ثم دفع الجلاد ذراعًا معدنية، ويسقط جسده في الفراغ، ليلقى جزاءه العادل، وكان الفضل في ذلك يعود إلى العين .. عين السماء..

ناقوس الخطر

(القاهرة عام ٢٠٥٠)

حيث المستقبل ذو الطفرة التكنولوجية المذهلة، المتبلورة على هيئة طُرقات وكبارٍ معلقة مستقيمة ومتعرجة، تنطلق فوقها على وسائد هوائية، ووسائل مواصلات عصرية من مركبات وحافلات صاروخية وخلافه، تحفها من كلا الجانبين مباني حلزونية تتحرك وفق نسق دقيق جنبًا إلى جنب مع ناطحات سحاب شاهقة الارتفاع مصممة من سبائك مصقولة لامعة، تطير من بينها في مسارات عشوائية حوامات مختلفة الأحجام والأشكال، ورغم ذلك التقدم العلمي المبهر لم يكن الغد ورديًا كما يبدو ظاهريًا، بل كانت هناك منغصات ومشاكل لا حصر لها تفاقمت بشدة إبان دخول مصر عصر الفقر المائي، وتبوير حوالي ٢ مليون فدانًا من الأراضي الزراعية، على خلفية تشغيل أثيوبيا لسد النهضة المُحاط بمنظومة دفاع جوي إسرائيلي مدعومة ببطاريات صواريخ سبايدر الذي خلفت أثاره الكارثية تخفيض حصة مصر من مياه النيل إلى ١٨ مليار متر مكعب سنويًا من أصل ٥٥ مليارًا، وكانت مصر قد أحجمت نهائيًا عن ضرب السد مع المخاوف من الآثار السلبية، والنتائج المترتبة التي تهدد بفناء السودان ومصر عن بكرة أبيهما بطوفان هائل يجرف أمامه مدن وقرى وحياة، وأمواج من شدتها

تكتسح في طريقها كل شيء، لذا لم تجد مصر أمامها بدًّا من التوسع في إنشاء محطات تحلية مياه البحر بالمحافظات الساحلية..

وفي ذلك الصباح تسللت خيوط الشمس الذهبية من أسفل تلك الأطلال المنتشرة على أطراف العاصمة الإدارية القديمة، لتحُث المواطنين للذهاب إلى أعمالهم اليومية في همة ونشاط، وما إن تعامدت الشمس الساطعة في كبد السماء حتى استيقظ ذلك الشاب الأشقر الوسيم من نومه أخذًا في التثاؤب طويلًا وهو ينهض من فراشه في تكاسل بقامته الطويلة، وقبل أن يؤدي طقوس الصباح المعتادة طفق يجلب هاتفه الخلوي ويمرر أنملة إصبعه فوق الشاشة الكريستالية لتضيء من فورها. نقر على أيقونة الماسنجر لتتهلل أساريره مع مطالعته لنقطة خضراء مُعلنة أن الطرف الآخر متاح، أخذ يستجمع أفكاره في نقطة مُحددة، وبدا وكأن تقنية الماسنجر المُحدثة تقرأ أفكاره، وعلى الفور تُرجمت خواطره إلى عبارة ظهرت في نافذة الشات مُفاداها:

- «صباح مشرق بديع على أجمل (لمار) في الكون».

بسرعة آلية تراصت كلمات الجواب على شاشة الجوال:

- "بل الأدق مساء يوم آخر راحل، فهذا ديدنك يا (سيف) تخلُد إلى النوم متأُخرًا، وتصحو على نفس المنوال".

صُعق من الرد المفاجئ فانقلبت سحنة وجهه المفعم بالسعادة، وهو يضغط على أيقونة الفيديو ليجيز الاتصال المرئي، ثم ما لبث أن استشاط غضبًا وزمجر قائلًا بانفعال مُحتقن:

- «هذه ليست الطريقة المثلى للرد في الصباح يا زوجتي المستقبلية».

على شاشة الجوال ظهر وجه محدثته بجمالها الفتان الذي يفوق خيال أي فنان، بوجنتين مستديرتين مُشربة بحمرة خفيفة، وعينين زرقاوين لامعتين، وشعر كستنائي مسترسل فوق كتفيها، قطبت جبينها ليظهر الضيق للحظة على قسماتها، فحاولت أن تمتص غضبه وتلطف حدة الأجواء، وهي تسبل جفنيها، وتقول في نبرة أنثوية تموج بالغنج:

- «عذرًا يا حبيبي، ولكن هل ستظل هكذا بلا مصدر دخل، وأنت لا تزال في عنفوان الشباب؟!».

تريثت للحظات ثم أردفت بتؤدة بصوت مُتهدج:

- «أما لك من عمل يُعينك على مصاعب الحياة، ويكلل هذه الخطبة بالزواج السعيد قريبًا؟!».

ران الصمت طويلًا على(سيف) الذي راح خلاله يدلف إلى شرفة منزله وتهالك جسده فوق أحد المقاعد القريبة، قبل أن ينبري قائلًا بلهجة جادة مُغتاظة:

- «كما من المفترض أنكِ تعلمين أيتها النابِهة أصبح كل شيء في هذا الزمان يدار آليًا بواسطة روبوتات ذات ذكاء اصطناعي فائق صار من العسير تفرقتها عن البشر، خاصة مع الجلد الاصطناعي الذي أصبح جزءًا لا يتجزأ من أجسادهم الآلية، ومع تزويد برنامجهم الآلي بشريحة معلوماتية مُخزن عليها كافة المشاعر

الآدمية، أصبحت لديهم المقدرة على تقييم الأمور، واتخاذ القرار السليم بناءً على منظور عقلاني، وعاطفي متوافق».

ازدرد لعابه ليشعر بغصة مريرة ضاق بها حلقه، وتريث قليلًا قبل أن يستأنف حديثه متهكمًا بشيء من السخرية اللاذعة:

- «ومع هذه الإمكانيات الجبارة التي أهلت الروبوتات بأن يكونوا في مصاف السوبر مان، تم الاعتماد عليهم بشكل شبه كامل، حتى وصل الأمر بتوظيفهم في معظم الشركات، والهيئات الحكومية والخاصة نظرًا لعدم شعورهم بالتعب والإجهاد، ولكونهم يعملون بلا كلل أو ملل، وكان من الآثار السلبية الناجمة عن هذا القرار تفشي وباء البطالة بين فئات المجتمع!».

أومأت (لمار) برأسها إيجابًا، وهي تقول في اكتراث:

- «أؤيدك القول بالفعل قام العاطلون، والمشردون مؤخرًا في حدث استثنائي لم يتكرر من قبل قط بتظاهرات حاشدة تناقلتها جميع وسائل الإعلام العالمية مطالبين النظام الحاكم في مصر بأن يقصر وظائف الآليين على خدمات الأمن والحراسة للمنشئات، لكي ينفتح سوق العمل مرة أخرى أمام الكوادر البشرية كما كان في الماضي!».

بترت عبارتها مع تنامي إلى مسامعها صوت فرقعة مكتومة أشبه بصوت هواء مضغوط بكثافة تم تفريغه بغتة من حلة بخار ساخن، هرعت بسرعة في اتجاه النافذة، فامتقع وجهها وهي تستطرد بهتاف يفيض بالدهشة في لهجة مُفعمة بالتوتر والرهبة:

- «ما هذه الظاهرة العجيبة التي تحدث في جو السماء؟!».

حانت من(سيف) التفاتة نحو السماء فاشرأب بعنقه وبفاه مفغور أخذ يحدق بعيون مشدوهة في ظاهرة خارقة للمألوف تحدث هناك في الأفق البعيد مع نشوء في منتصف الفراغ قوس محدود بلون أرجواني متألق، انبثق منه قوس آخر في الجهة المقابلة، وراحا يتمددان ويتسعان حتى صارا دائرة واحدة، استطالت في حجم إستاد كرة قدم، ومن قلبها أخذ مُجسم معدني هائل يظهر ويختفي، وكأنه يومض وينطفئ، ومن حوله تطايرت شرارات كهربية عنيفة، وسرعان ما استقر المُجسم على الحالة المرئية ليتبين أنه جسم فضائي مهيب مصقول باللون الفضي اللامع يتحول تدريجيًا مع سطوع الشمس إلى اللون الذهبي، فعض(سيف) على شفتيه السفلى حتى كاد يدميها، وهو يتمتم بصوت مُرتعد:

- «رباه! هل تعود الكَرة باحتلال فضائي آخر؟ ذقنًا من ويلاته في الماضي القريب، ولكن بفضل الروبوتات الآلية التي خاضت مع صفوة البشر حربًا شعواء ضد الغزاة، فتحقق النصر للأرض وتم دحر الفضائيين في نهاية المطاف».

أخذ الجسم الفضائي العملاق يتألق بلون أزرق باهت وهو يرتفع حتى عانق عنان السماء، واستدارت مقدمته شطر الأرض، ليبدو وكأنه حوت هائل يتأهب لصيد فرائسه، وساد الصمت والسكون على أجواء المشهد، وفي نفس الوقت راح(سيف) يتصفح مواقع وكالات الأنباء العالمية على الشبكة العنكبوتية، وشيئًا من الأمل يحدوه في أن يكون ما

حدث مجرد تجربة حربية لسلاح جديد، فاختلجت جفونه وهو يطالع الأخبار العاجلة التي تناقلتها المواقع الإخبارية بعيون ملؤها الرعب والفزع.

«سفينة فضائية مجهولة الهوية تظهر فجأة في سماء القاهرة».

« حالة من الذعر تسيطر على جموع المواطنين بسبب الهدوء والغموض اللذين يخيمان على السفينة المهيبة».

«صور عديدة لنسور القوات الجوية بمُقاتلات الجيل السابع الحربية، وهي تحوم حول السفينة الهائلة».

«أخبار متعددة حول الطيارين ومطالبتهم ربان السفينة بالإفصاح عن هويته فورًا، وتحذيره من مغبة عدم الإذعان بالاستسلام، والعواقب الوخيمة التي ستتلقاها السفينة بضربها مباشرة بقذائف المدافع الأيونية، والارتجاجية وحتى أسلحة الدمار المتمثلة في شبكة خطوط طويلة من أشعر الليزر الفتاكة».

وفي تلك الأثناء ارتجت السفينة الفضائية بعنف وامتدت من أسفلها فوهات دائرية طويلة تدفقت منها مادة من مسحوق أبيض نقي انطلقت بكميات هائلة من خزان السفينة السفلي، سرعان ما شكلت سحبًا وغيومًا شفافة أخذت تسبح وتتناثر بكثافة شديدة في كل بقاع سماء الجمهورية، وبمجرد رؤية السحب التي تحولت فجأة إلى اللون الرمادي الكئيب دب الرعب أضعافًا مضاعفة في أوصال الحشود المتابعة للمشهد عن كثب، وكرد فعل غريزي هرول الجميع بلا هدى للفرار بأرواحهم من بطش الهول المنتظر، وعلى ألسنتهم الصارخة

هتاف موحد بأن الجحيم القادم من السماء يحمل مُبيدًا قاتلًا يهدف للإبادة الجماعية للشعب المصري بلا استثناء، ولكن سرعان ما رنت هواتف جموع الشعب بما يفيد وصول رسالة عاجلة سرعان ما تكشف فحواها بلغة عربية فصحى :

- «مرحبًا بأجدادنا الأعزاء.. لا تخافوا ولا تجزعوا، فكم كنا نتمنى لو أننا ظهرنا لكم علانية، ولكن وا أسفاه! فالسفينة مُحاطة بمجال كهرومغناطيسي قوي نعجز معه عن الخروج، فقط نود أن نخبركم أننا قدمنا إليكم من حقبة مستقبلية موغلة في البعد، وهناك تدور رحى حروب طاحنة بين الدول وبعضها البعض تسمى بحروب المياه، ويمضي الصراع على أشده للسيطرة على منابع المياه، لتسيل الدماء أنهارًا على خلفية القاعدة التي يؤمن بها الجميع بأن من يسيطر على المياه يسيطر على العالم، ومع امتداد الآثار السلبية لسد النهضة الأثيوبي بحدوث جفاف، وقحط شديد ضرب جذور الدولة المصرية في الصميم وأصاب البلاد والعباد في مقتل، ومع عدم قدرة محطات تحلية ماء البحرين على استيعاب التضخم السكاني الهائل، من هنا صار تهديد وجود نكون أو لا نكون، فاتحدت الآراء على عدم الرضوخ للأمر الواقع والمقاومة حتى الرمق الأخير، فجاء القرار الحاسم بخوض حرب ضروس ضد بعض الدول العظمي للسيطرة على سد النهضة، وبفضل تضافر جيوش العرب الباسلة تحقق لنا ما كنا نصبو إليه، وعند تحقيق الهدف المنشود بسيادتنا

على السد ذهبت السكرة، وجاءت الفكرة بضرورة أن يتنعم أجدادنا الذين عانوا وقاسوا الأمرين طويلًا، حتى أنهم لم يجدوا من يحنو عليهم، وهنا وقعنا في معضلة حقيقة في كيفية نقل مليارات المكعبات من المياه إلى ماضينا البائس، ليتفتق ذهن أحد العلماء على اختراع وسيلة شفط وتخزين مبتكرة حطمت كل القواعد العلمية المعروفة في زمنكم، وتضافرت كل الجهود لإنجاز الاختراع في زمن قياسي، وبالفعل ظهرت للنور أقراص رقمية رقيقة بإمكانها امتصاص والتهام المياه في سرعة وشراهة وضغطها على نحو مدهش، ومن ثم قمنا بشحن المياه المضغوطة في سفينة الزمن وجلبناها إليكم حتى تنهلوا من الخير والكرم الفياض الذي سيكفيكم لسنوات مديدة عامرة بالرخاء والنماء!».

تزامن وصول تلك الرسالة مع هطول الأمطار بمنتهى الغزارة على ربوع مصر القاحلة من أقصاها إلى أدناها!..

أمطار مُذيَّلة بتوقيع الأحفاد القادمون من مستقبل مصر بُغية نجدة الأجداد، ويا لها من نجدة!.

نقطة الانفجار

خيم هدوء مثير على مبنى المخابرات العلمية الإسرائيلية، حتى بات الصمت المطبق هو الملك المتوج على عرش المكان، ولكن دعنا نتجاوز ما يحدث على السطح، وندلف إلى داخل أروقة المبنى الغامض ومنه إلى أحد طوابقه، لنجد تلك القاعة الفسيحة التي كانت على العكس تمامًا، تعج بالتوتر والانزعاج، وفي منتصفها كان يجلس حول منضدة طويلة لفيف من الرجال الأشداء، على رأسهم رجل عريض المنكبين، متين البنيان ذي جسد قوي ممشوق، متأنق في حلة سوداء، بات من الجلي كونه يبلغ شأنًا رفيع المستوى، أطلق زفرة قوية وهو يتابع باهتمام وقلق بالغين ما يدور خلف جدار زجاجي سميك أحادي الرؤية، فأبصرَ من قلب حجرة الاستجوابات السرية قائد رجال الأمن الآليين بقامته المديدة وزيه الفضي المتألق، وهو يقف أمام ذلك الأسير المقيد إلى مقعد معدني، يتصل جسده بأسلاك عديدة رفيعة، وبدا جافًا جامد الملامح، وهو يستفسر منه في شغف، بصوته المعدني الرتيب الحاد:

- «من جندك أيها العميل(صخر) وأوزع إليك القيام بتلك المحاولة الفاشلة لدفع حشود الروبوتات الآلية الشرطية للتمرد ضد سادتهم؟!».

ارتعدت فرائص (صخر) وحاول جاهدًا أن يحافظ على رباطة جأشه، وهو يجيبه في برود:

- «لا أستطيع أن أخبرك».

رمقه قائد الأمن بنظرة شزر طويلة، وهو يشير لرجل أمن آلي سارع بضغط أحد أزرار جهاز الصعق الكهرومغناطيسي المطور، لتسري في أوصال(صخر) شحنة كهرومغناطيسية عنيفة انتفض له جسده طويلًا في قوة، وهو يطلق صرخة ألم هائلة، وضغط على شفته السفلى حتى أدماها، قبل أن يوقف رجل الأمن تدفق المجال الكهرومغناطيسي المكثف بغته، وقائد الأمن يسأله في صرامة مُخيفة:

- «لا زلت في انتظار إجابة وافية شافية أيها الجاسوس التعس!».

لم يتفوه(صخر) ببنت شفة، فتنهد قائد الأمن بنفاد صبر، وضغط على مخارج ألفاظه، وهو يهتف بقسوة شديدة:

- « يبدو أنك لا تدرك حقًا دقة موقفك!».

أشار إلى صندوق صغير أسود اللون يتدلى منه مجموعة أشرطة، بالإضافة إلى عدة أسلاك متباينة الأطوال، وأردف قائلًا بصوت جامد خال من أية عاطفة:

- «فليكن.. هذا الجهاز سوف يعطينا كافة المعلومات التي نريدها رغمًا عنك».

أومأ قائد الأمن برأسه إيجابًا، وهو يشيعه بنظرة ازدراء، فتقدم أحد مساعديه إلى الأمام وألصق شريطًا صغيرًا أزرق اللون على جبهة (صخر) وضغط على أحد أزرار الجهاز، وسرعان ما أظلمت الدنيا

أمام عيني (صخر)، وبعد فترة وجيزة شعر بنور الحجرة يطرف عينيه من شدة الضوء، فهتف قائد الأمن مشدوهًا في حيرة بالغة:

- « يبدو أنه قد أجريت لك عملية غسيل مخ، فجهاز الكشف عن الأفكار والذكريات عاجز تمامًا عن إعطاء أية معلومات من داخل تلافيف عقلك، سوف نعذبك ونوسعك ضربًا مبرحًا حتى تعترف لنا بكل شيء».

في تلك الأثناء ران الصمت المهيب على جنبات الحجرة، وبينما قائد الأمن يستدير كان (صخر) قد نجح في التخلص من أغلاله ببراعة يتفوق بها على الساحر المجري ذائع الصيت(هاري هوديني)ذاته، وبحركة مفاجأة وثب في مرونة مدهشة، برشاقة التياتل تجاه قائد الأمن، وقبض على رقبته المطاطية من الخلف بأصابع فولاذية، فصار جسمه الروبوتي يتلوى في حركات رتيبة، وعلى الفور ألقاه(صخر) أرضًا، ليتصاعد من صدره دخان كثيف، قبل أن تتسمر ملامحه ويتجمد جسده كتمثال من الحجر الصلد، وعندئذ أحس(صخر) بالروبوتات الأمنية الأخرى المحيطة به إحاطة السوار بالمعصم وهي تتكالب عليه لتشل حركة ذراعيه وجسده، وسمع عبر السماعات المنتشرة في أرجاء الحجرة، هدير صوت الرجل ذو الحلة السوداء، وهو يصدر ألفاظ نابية، وقد استشاط غضبًا، ويهتف في صوت خشن قاسي قائلًا بلهجة آمرة يكسوها الجنون:

- «زجوا بهذا المجرم في زنزانة منفردة، حتى نقتص منه، ونعدمه مع انبلاج فجر الغد».

قال عبارته ودار على عقبيه ليغادر موقعه، تاركًا من خلفه(صخر) مبلل الأفكار، لتنهار رأسه فوق صدره مغشيًا عليه من هول الصدمة، ليتجمد الوقت بالنسبة له، بعدها شعر بصداع عنيف يكتنف رأسه، وبضباب كثيف ينقشع عن مخه، ليفتح عينيه في بطء لينتبه إلى أنه حبيس في قبو رطب ضيق، وجسده ممدد على الأرض، نهض بتثاقل وما هي إلا ثوانٍ حتى صك سمعه صوت قذائف ليزر قوية تنطلق من الخارج، تزامن مع دوي ذلك الانفجار العنيف الذي أطاح بباب القبو المعدني، ثم اقتحم القبو في جسارة أحد الحراس الآليين، المكلفين بحماية أمن المبنى الداخلي، وهو يشهر أمامه مدفع ليزر قوي، فشحذت رؤيته كل قوى(صخر) وأطلقت في عروقه دفقة من هرمون الأدرينالين، الذي تفرزه الغدة فوق الكلوية في حالات الخطر والشدة؛ لزيادة كفاءة الجسم، فبادره متسائلًا في شجاعة يُحسد عليها:

- «ماذا تريد مني يا رجل الأمن بالضبط؟!».

أشار الحارس بإصبعه إلى شفتيه محذرًا، وهو يهتف هامسًا في خفوت:

- «لا تجزع ولا تخف يا صاح، بل اطمئن تمامًا، فأنا ما جئت إلا لمساعدتك على استكمال مهمتك».

صمت برهة قبل أن يردف في صوت متهدج:

- « (مصر)ترسل إليك بخالص تحياتها».

قالها ولم ينتظر منه تعقيبًا، وهو يميل نحوه ويفحص باهتمام بقعة معينه في ناصية رأسه تسمى (frontal lobe) أو الفص الأمامي للمخ

الذي يُعد مسؤولًا عن الشخصية من جانب التحكم في المشاعر، والتفكير، والحديث، والحركة، والسلوك، والقرار. فضغط تلك البقعة في رفق، ليشعر(صخر) بعروق جسده يسري فيها ما يشبه تيار هواء بارد منعش، واكبه تدفق معلوماتي غزير داخل تلافيف عقله، لتبرق عيناه بشدة، معلنة استعادته لكافة ذكرياته الخاملة، فوَاتَتهُ المعرفة أخيرًا بالمهمة المنوط به إنجازها..

في حركة عسكرية صرفة، مد إليه الحارس الآلي بمدفعه الليزي، وحزام فسفوري عريض، التقطهما(صخر) وعلى الفور منطق بالحزام خصره، ثم ضغط حلية الحزام، وهو يهم بمغادرة القبو، فصارت ملامحه مُطابقة بالضبط لشكل وهيئة الحراس الآليين للمبنى، وعلى عتبة باب القبو استدار(صخر) ليرمق بإعجاب الحارس الآلي فوجده قد أصبح نسخة طبق الأصل منه، وسرعان ما انعقد حاجباه بشدة، وهو يحدق فيما يفعله الحارس الآلي الذي تجمدت عيناه داخل محجريهما، وهو يلتقط من حزامه قنبلة متطورة، اتسعت لرؤيتها عينا (صخر)، والحارس الآلي يحرر زر الأمان بها، ويهم بوضعها داخل فمه المَفْغور، وهو يردد في آلية مبرمجة:

– «انسف نفسك جزاء خيانتك!».

بلا تردد اندفع(صخر) نحوه، صائحًا في ارتياع:

– «رباه! لا ..لا تقدم على هذا الفعل الجنوني ال...».

وقبل أن يتم عبارته دوى الانفجار...

انفجار محدود انطلق في جسم الحارس الآلي، وبفعل الموجة التضاغطية الناشئة عن الانفجار اندفع ثلاثة أمتار إلى الخلف، قبل أن يرتطم بالجدار الخلفي للقبو، ويتمزق جسده لتتناثر أجزائه المعدنية على الأرض!

أطاح الانفجار ب(صخر) بعيدًا، فوجد جسده يطير مخترقًا باب القبو إلى الخارج، ليرتطم ظهره بالأرض، ويحتك بها بعنف، فوضع يديه أمام وجهه ليقي نفسه من شظايا انفجار الحارس الآلي، ولثوان راح قلبه يخفق في قوة، وتنهد في عمق، وهو ينهض واقفًا بصعوبة، بسبب جسده المثخن بالجراح، ويغمغم في حزن وأسى:

- «يا للخسارة! ألم تكن هناك طريقة لعصيان أوامر هؤلاء الجبابرة كي تتفادى هلاكك يا رجل!».

أخذ نفسًا عميقًا، وتنهد في حرارة، قبل أن يندفع مغادرًا المكان، وعينيه تفحصان طريقه بمنتهى الدقة والتروي، ثم تحرك بخفة وحذر وعقله يدرس الأمر كله في اهتمام، وبخطوات أقرب للعدو تجاوز نهاية الدهليز، ومنه أخذ يصعد بسرعة في درجات سلم المبنى، الذي أصابه هرج ومرج مع موجة هائلة من الذعر، جعل حراس الأمن الآليين يهبطون أفواجًا داخل أسطوانات زجاجية شفافة إلى الأسفل لمعرفة مصدر الانفجارات المدوية..

ولم يكد (صخر) يبلغ الطابق الثاني حتى تلفت حوله، وهو يسير عبر طرقات وممرات الطابق إلى هدف محدد مسبقًا، وعند بداية ممر قصير توقف وأخذ ينظر إلى صورته المنعكسة على مرآة ضخمة تحتل حائط

كامل، وأدار حلية الحزام إلى اليسار، وهو يضغط باستمرار زرًا صغيرًا في منتصف الحلية، لتتحول ملامحه تدريجيًا مثل الحرباء إلى وجوه عديدة وأشكال مختلفة قبل أن تتوقف، وقد اتخذت شكل وهيئة مدير المبنى شخصيًا.

وعلى الفور اتجه إلى حجرة خاصة جدًا في نهاية الممر، وتوقف عندها ليضع كف يده على مربع صغير بجانب إطار الباب، لينبعث من المربع شعاع بنفسجي هادئ أخذ يمسح راحته، وما إن أضاء المربع باللون الأخضر، حتى رفع يده واعتدل منتصبًا لتنبثق من قمة الباب كرة صغيرة في حجم كرة تنس، تحركت أعلى الباب وألقت شعاعًا من ضوء وردي خافت على وجهه، راح يمسح ملامحه وقزحية عينيه في سرعة قبل أن تختفي الكرة عائدة من حيث أتت إلى مخبئها؛ ليجتاز بأمان وسلام أجهزة الفحص التكنولوجية، وينفتح الباب على مصراعيه في هدوء مثير.

ليلتقط (صخر) شهيقًا عميقًا زفره في ارتياح، ثم اندفع بالولوج إلى داخل الحجرة بخطى سريعة، وأوصد الباب خلفه في إحكام، وراح يحدج محتويات الحجرة بنظرة فاحصة، ليتوقف بصره عند عشرات من أجهزة الكمبيوتر الهولوجرافية الحديثة، فأسند المدفع الليزري إلى جدار الحجرة، وطفقت أصابعه تضرب بمهارة المكعبات الملونة في لوحة الأزرار الافتراضية أمامه، وانهمك بكل حواسه في كتابة بيانات برنامج فيروسي خطير، ليبثه في نظام شبكة المعلومات الجمعية للروبوتات الآلية الشرطية، ولم يكد يفرغ من إدخال كافة البيانات

الرئيسية للفيروس، حتى ضغط زر الإدخال في لوحة الأزرار الوهمية، وبسرعة البرق الخرافية اخترق الفيروس مركز الشبكة ثم انتقل منها ليبث في لحظة واحدة، إلى خلية استقبال كل أفراد الشرطة الآلية في جميع أنحاء البلاد، حاملًا آمر التمرد والانقلاب ضد جميع قادة إسرائيل بلا استثناء..

وفي تلك الأثناء كان(صخر) قد استعاد هيئته السابقة كحارس أمن آلي، وما كاد يخطو خارج الحجرة، حتى فوجئ على مرمى بصره بضابطين يبرزان من نهاية الممر، وما إن لمحاه حتى أطلقا عليه وابلًا من أشعة الليزر الفتاكة، نجح في تجاوزها بأعجوبة، وهو ينحرف بسرعة داخل الحجرة، ثم تناهى إلى مسامعه صوت جلبة قوية، واشتباكات عنيفة تدور داخل الممر المؤدي للحجرة، مع تصاعد وقع أقدام تتجه إلى مكانه، فاشرأب بعنقه من داخل مكمنه، فوجد الحراس الآليين يقتحمون الممر بشراسة الدنيا شاهرين أسلحتهم الليزرية الفتاكة، وهم يطالبون بعضهم البعض بالثأر وإزهاق أرواح من يرونه من رؤسائهم الطغاة.

عندها أيقن (صخر) من أن نصف مهمته قد تكللت بنجاح باهر، فارتسمت ابتسامة ارتياح على ملامح وجهه، وذهبت السكرة وجاءت الفكرة، فدار بعقله عن كيفية خروجه سالمًا من المبنى، وهنا حسم أمره وبدا قوي الشكيمة وهو يقرر أن ينضم إلى الحراس الآليين في حربهم التخريبية الشعواء، التي يخوضون غمارها الآن، فراح يشق طريقه ويؤازرهم بكل قواه ويلهث في انفعال وهو يطلق حزم متتابعة

من أشعة الليزر في اتجاه الضباط والقادة، الذين أخذوا يصرخون في هلع وجزع، وهم يهرولون بلا هدى فرارًا من طلقات الليزر القاتلة التي تتفجر حولهم من كل حدب وصوب، فتمزق أجسادهم البشرية تمزيقًا، وتحولهم في لحظة إلى كومة من الأشلاء واللحم المفري تبعثرت بغزارة على أرضية المبنى، فبات المشهد كابوسًا دمويًا رهيبًا..

ومع قيام الحراس بثورة عارمة، اختلط الحابل بالنابل، فتمكن(صخر) من الخروج إلى باب الحرية، وتحرك بعيدًا إلى طرقات مدينة (تل أبيب)، لتتوقف بالقرب منه سيارة صاروخية ملصق على أحد جانبيها شعار نجمة داؤود، وأطلّ من نّافذتها وجه أسمر جميل المحيا، فُتح باب السيارة آليًا، وهو يهتف فيه بلهجة آمرة في حسم:

- «تعال إلى هنا يا (ألفا ٢)... هيا اركب بسرعة».

كانت نبرة صوت محدثه تبعث على الراحة والطمأنينة، وفور ذكره لاسمه الكودي، نقب(صخر) في أرشيف الذكريات، لتظهر صورة السائق في خانة الصديق، وبمجرد معرفته بهويته أذعن للأمر دون تفكير، واستقل السيارة الصاروخية، التي انطلقت مسرعة، و(صخر) يسأل قائدها في لطف:

- «إلى أين نحن ذاهبان؟!».

أجابه السائف في تؤدة:

- «سأعود بك إلى أرض الوطن».

وبالفعل قبل انقضاء بضع ساعات كان(صخر) يدلف إلى داخل مبنى سري يقبع على أطراف العاصمة الإدارية الجديدة، وكان في استقباله مدير المخابرات العلمية المصرية، الذي قابله بحفاوة بالغة، وهو يقول له في حبور:

- «مرحبًا بعودتك سالمًا أيها البطل الهمام (ألفا٢).. لقد نجحت في مهمتك كجاسوس آلي، لذا بعد أن تسجل تقريرًا كاملًا بما حدث في هذه المهمة، استعد لإعادة برمجتك إلكترونيًا؛ لكي نعطيك مهمة أخرى جديدة تحتاج إلى تضافر كل جهودك وحماسك للقيام بها على الوجه الأكمل».

تريث قليلًا ليزدرد لعابه، قبل أن يستطرد قائلًا باهتمام في إشفاق:

- «فكما تعلم بعد إصاباتك الفادحة في مهمة سابقة، صنعناك في سرية تامة كروبورت متطور نصف آلي، ووضعنا بداخلك رقائق بيولوجية تستخدم البروتينات بدلًا من السليكون لزيادة كفاءتك، ثم أضفنا إليك خبرات وهمية زائفة، ولكي نضلل رجال الأمن الآليين والكمبيوترات الفائقة عندما تقع في الأسر، غذينا عقلك ببرنامج خاص مثل حصان طروادة، مهمته إخفاء كافة المعلومات المتعلقة بك وبالمهمة الموكل بها، باختصار برنامج قادر على جعل عقلك كصفحة بيضاء تمامًا».

أطرق (صخر) برأسه أرضًا، وهو يغمغم في حزن بصوت خفيض مفعم بالمرارة والشجن:

- «أجل يا سيدي، لقد أصبحت بالفعل شبه إنسان!».

قالها واغرورقت عيناه بالدّموع الحبيسة التي سرعان ما ذرفها بحرقة، فسالت على وجنتيه، مبرهنة على كونه لا يزال يتمتع بأحاسيس أدمية نقية، لم يلوثها ما صار عليه كإنسان نصف آلي يحيا في زمن تسيطر عليه الآلات، وعالم قاسٍ لا يرحم، ولا يقيم وزنًا للمشاعر البشرية..

القسم الثالث

تصنيف: اجتماعي

دم الشهيد

بدا ذلك الصباح مختلفًا تمامًا عن كل ما سبقه في عيني(خالد)وهو يقود سيارته في طريقه إلى منزل خطيبته بحي المعادي العريق وأنتابته الدهشة من رؤيته لطريق كورنيش النيل الذي كاد يخلو من السيارات، والمارة باستثناء بعض السيارات التي جعلت حركة السير فى تلك الساعات الأولى من النهار انسيابية للغاية لم يرَها من قبل مطلقًا، فضغط دواسة الوقود ليحث سيارته على الإسراع بعبور كوبري قصر النيل لتطالعه عشرات من الجماهير متدافعة من الجهة المقابلة له من الكوبري العتيق

سرعان ما تزايد عددهم حتى أصبحوا بالمئات على أقل تقدير ليبددوا بالفعل هدوء الكوبري...

عندها تذكر لماذا كان الهدوء يلف أرجاء شوارع القاهرة...

هذا لأن ذلك اليوم هو الخامس والعشرون من يناير عام ألفين وإحدى عشر..

هو عطلة رسمية لعيد الشرطة على وجهه التحديد.

وتذكر كذلك تلك الدعوات التي ملأت الـ (فيس بوك) و(تويتر) خلال الأيام الماضية للتظاهر في ذلك اليوم تحديدًا ضد النظام كله على خلفية وفاة الشاب السكندري(خالد سعيد)

وموروث ثلاثون عامًا من الذل والهوان، لكنه للحق لم يعرِ تلك الدعوات أدنى اهتمام ..

لقد كانت بالنسبة له مجرد عبث لا طائل منه، أو تقليد أعمى تمامًا كالذي حدث فى (تونس)

لكن الوضع فى مصر مختلف تمامـًا هكذا يقول رجال النظام،

فلا طائل من تظاهرات لن تجدي مع نظام متأصل فى البلاد قدم الدهر.

لذلك لم يجد فى نفسه القدرة حتى على مجرد التفكير فى النزول مثل بقية شباب جيله.

أو هى طبيعته الانطوائية، وخجله الشديد هما ما يحركانه فطوال عمره ومنذ أن وعت عيناه على الدنيا

وجد نفسه وحيدًاعلى الرغم من أن له أخًا غير شقيق تفانى والده المهندس المعماري الشهير فى رعايتهما

على الرغم من اختلافهما الواضح فى كل شيء..

فهو كان هادئًا وخجولًا للغاية على النقيض من أخيه الأكبر

الذي كان عصبيًا، ودائم الشجار مع والده لزواجه بأخرى بعد وفاة أمه..

لذلك كان يكرهه بشدة ويعامله أسوأ معاملة خاصةً بعد عمله بجهاز الشرطة

ليكتسب منها صرامة وقسوة شديدة يعامله بها و...

انتزع نفسه من ذكرياته مع اقتراب تلك الحشود من سيارته قاصدين ذلك الميدان الشهير

فى قلب القاهرة (ميدان التحرير)..

كما أعلنوا ذلك أمس فلم يجد أمامه مفرًا سوى أن يضغط فرامل سيارته ببطء

وهو الذى كان متأهبًا للانطلاق بها بسرعة، ولم يكد يفعل حتى أبصر فى مرأة سيارته الجانبية

ذلك التنظيم من جنود الأمن المركزي قادمين من خلفه باتجاه تلك التظاهرة

التي أصبح هتافها واضحًا جليًا للغاية ...سلمية ...عيش ..حرية ....عدالة اجتماعية..

لم ينتظر كثيرًا حتى التقى الجانبان في منتصف الكوبري تمامًا عندها تقدم الجنود من المتظاهرين

يحاولون تفريقهم بقوة لينهالوا عليهم ضربًا بهراواتهم الغليظة بقسوة ووحشية فهاله ذلك المشهد بقوة

خاصةً عندما وجد أحد الجنود وهو يضرب إحدى السيدات على رأسها فيشجها لتسيل منها الدماء لتغمر وجهها.. عندها تخلى عن جموده ونزل من سيارته وهو يسرع الخطا باتجاه تلك السيدة

التي هوت أرضًا وجاثيًا على ركبتيه حاول جاهدًا أن يوقف نزيف جرحها

وهو يهتف فى غضب عارم، استنكر بشدة أن يكون بداخله:

- «كفاكم جبروت يا جنود الأمن ألا توجد فى قلوبكم رحمة!».

واستطرد وهو يعاون هذه السيدة على الاتكاء على حاجز الكوبري:

– «أليس هؤلاء هم أهلكم جميعًا؟! فلماذا بالله عليكم تفعلون بهم ذلك؟!».

هتفت فيه السيدة في وهن شديد:

– «دعك مني يا بني فالأهم الآن هى (مصر)، وهي اليوم فى أشد الحاجة إلى أمثالك».

وقبضت على يديه وهى تحثه على ملاحقة أقرانه من الشباب فى تلك التظاهرة بنظرة ملؤها الحنان

انتفض لها قلبه ليشعر وكأن أمه الراحلة التى لم يرَها مطلقًا تحدثه قائلة له فى حماس منقطع النظير:

– «هيا يا بني (مصر) تنادي».

انتبه فى تلك الأثناء إلى الاشتباكات الدائرة حوله بين المتظاهرين ورجال الأمن

فحسم أمره وهو ينفض عن نفسه قناع الخجل الذى ظل يلازمه طوال حياته

مع سماعه الهتافات الحماسية فابتسم لها وهو يومئ برأسه موافقًا، وأسرع باتجاه المتظاهرين

يهتف معهم بكل ما أوتي من قوة وعزيمة، وبينما هو كذلك إذا به يلمح ذلك الجندي الذى شج رأس تلك السيدة

حتى أسرع بمهاجمته في شجاعة لا يدري كيف واتته، لكن لم يكد يفعل..

حتى أمسك به زملائه لينهالوا عليه ضربًا بالركلات واللكمات ويودعوه مع أخرين من الشباب الثائر
إحدى سياراتهم ليجد نفسه بعدها فى قسم(قصر النيل)..
وعلى الرغم من مساعي محامي والده الشهير لإخراجه حتى بضمان مالي..
إلا أنهم أصروا على إيداعه الحبس أربعة أيام على ذمة جريمة شغب، ومقاومة رجال الأمن
ثلاث ليالي قضاها فى محبسه حتى مساء ذلك اليوم الثامن والعشرين من يناير
وبينما هو يتجاذب أطراف الحديث مع رفاق محبسه حول مصير تلك التظاهرات مقارنة بقوة النظام الحاكم للبلاد
إذ بأصوات جلبة قوية تدوي في أرجاء القسم فأصابهم الارتباك والاضطراب جميعًا لما يحدث
ليفاجئهم باب محبسهم وهو يفتح على مصراعيه برصاص أحد المقنعين الذين طالعهم وهو يحمل بندقية ألية، ويصرخ فيهم فى حسم وصرامة :

- «هيا اخرجوا جميعًا بسرعة!».

عندها ساد الهرج والمرج في المكان وجميع من في الزنزانة يهرول مسرعًا باتجاه باب الخروج
وتسمر (خالد) في مكانه من شدة ذهوله لما حدث فإذا بذلك الرجل المقنع يلوح له ببندقيته

فى صرامة وقوة هاتفًا به في غلظة :

– «ألم تسمع كلامي جيدًا يا هذا؟ هيا أسرع قبل أن أفرغ رصاص هذه البندقية في رأسك».

عندها انتزع(خالد) نفسه من دهشته، وتساؤلاته الحائرة وهو يسرع بالفعل للخروج من القسم لينضم إلى المئات

الذين طالعهم عند خروجه بالفعل فسار معهم وهو يردد هتافات بلغت عنان السماء بحناجر ملتهبة بالحماس

ويا له من مشهد لا تستطيع أبلغ الكلمات أن توصفه وصفًا دقيقًا ذلك الذي شاهده في ميدان التحرير!

مشهد رائع بحق لشعب ينهض كالعنقاء من سباته العميق..

حقًا إنها الملحمة الشعبية لثورة مصرية خالصة..

لشعب ثار أخيرًا على الظلم والفساد الذي لازمه طويلًا كظله..

دارت الأفكار برأسه بذلك الحلم في الحرية الذي ظل يحلم به طوال الأيام الماضية بمحبسه ..

بعد أن رأى الأمور من منظور مختلف تمامًا عما كان يراها وبينما يلهب الحماس كيانه .

وهو يهتف بتلك النداءات القوية التي ترج الميدان كله بقوة إذا به يهوي أرضًا..

لتطالعه تلك البقعة الحمراء من دمائه تلون صدره

ونظر باتجاه من أطلق عليه تلك الرصاصة الصائبة والدهشة تملأ ملامح وجهه..

غير مصدق ما يراه وهتف فى ذهول هائل :

– «أنت يا (أكرم) ..أنت يا أخي! تقتلني بيديك!».

حدجه أخوه بنظرة تحدٍ وعلى وجهه تعبيرات شامته مصوبًا مسدسه باتجاهه وهتف به في حدة :

– «أجل يا (خالد) لقد جاء اليوم الذي سأنتقم فيه من والدي في شخصك!

لأحرق قلبه عليك لسوء معاملته لي طوال حياتي».

هتف فيه (خالد) في صوت خافت بكلمات تقطر مرارة وألمًا:

– «لقد كنت دائمًا جحودًا لوالدك الذي كان نعم الأب لك ولم تعامله كما أمرك الله بل كنت مثالًا للابن العاق دائمًا».

وتمتم وهو يبتلع ريقه في صعوبة بالغة:

– «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان و... ».

قاطعه صوت أحد أفراد الشرطة قادمًا من خلفه هاتفًا به فى اضطراب ممزوج بالخوف الشديد:

– «الحشود تتزايد بسرعة كبيرة يا أفندم، ولم يعد باستطاعتنا منع تقدمهم من احتلال الميدان.. إنها حقًا ثورة شعب».

عندها فقط تهاوت جفون (خالد) وهمدت حركته تمامًا..

لتعلوا شفتيه ابتسامة ..

ابتسامة نصر..

هذا المساء

أطلق (طارق) من بين شفتيه دندنة منغومة للحن مميز ..
صدع كالبرق لمطرب شهير في تلك الآونة ..
ودار بسيارته الجديدة صوب ناصية الشارع الذي يحتضن منزله،
قادمًا من كليته في هذا المساء .
وكم كانت سيارته الأنيقة هذه مسار إعجاب رفاقه طيلة اليوم الدراسي كله!
حتى أحاديثهم الجانبية لم تخلُ من الإشارة إليها، وإلى والده الذي كان قد اقتناها له ليلة أمس..
عندما أشار فقط لرغبته في ذلك الأمر، هكذا اعتاد أن كل أحلامه رهن التحقق فقط عندما يتلفظ بها.
وانتابته سعادة جمة آنذاك حتى أنه لم يسترعِ انتباهه الأحاديث الجانبية التي دارت بين زملائه ..
وانصب فحواها كله تجاه والده الذي يشغل منصبًا مرموقًا بوزارة الداخلية
وبسبب المنصب تحديدًا كان التهامس بشأن فساد والده، واستغلاله لمنصبه استغلالًا مشينًا

قبل وبعد ثورة يناير المجيدة، واتهام العديدين له بالتآمر والسعي لإجهاض الثورة الوليدة

خاصةً مع الأحداث الدامية الأخيرة التي عصفت بتلك المباراة الكروية الشهيرة

وجعلت ختامها مذبحة رهيبة راح ضحيتها العشرات من الأبرياء .

لتشير أصابع الاتهام إلى تواطؤ رجال الشرطة فيما حدث

ومن بينهم والده الذي وصمه الجميع بضلوعه في ذلك الحدث الأليم.

كل ذلك كان يدور خلف كواليس إدراكه .

ولأن أحدًا لم يجرؤ على الإفصاح بمكنونه أمامه خوفًا من زلزلة مشاعره المرهفة تجاه والده..

الذي ليس له في الدنيا سواه، ويحيا فقط لتلبية كل أوامره .

ليتنعم بحياته طولًا وعرضًا كما يقولون ..

وبينما هو في قمة نشوته إذ به ينتبه إلى الدهم الغفير من قوات الأمن وهي تطوق منزلهم

وبعيون مشدوهة.. فرك عينيه بقوة وهو يتساءل أهذا حقًا والده الذي تطوق الأصفاد كلتا يديه؟

ويسير الهويني مطأطئ الرأس بين صفين من رجال الشرطة

عندها، وبلا روية ضغط كابح سيارته بحدة من شدة اضطرابه ..

لهذا المشهد غير المألوف حتى كادت سيارته أن تصطدم بسياج حديقة منزلهم

لولا أنه تدارك الأمر في اللحظة الأخيرة، ليتمكن ببراعة من إيقاف سيارته بسلام

وغادرها بسرعة ثم بجزع ارتمى بحضن والده وهو يتساءل في حيرة مشفقة:

- «ماذا حدث يا أبي؟!».

ربت أحد الضباط على إحدى كتفيه برقة في تعاطف مشفق وهو يحاول أن يهدئ من روعه

وأجابه بلهجة هادئة:

- «للأسف يا(طارق) سيادة العقيد متهم في قضايا فساد عدة، ونحن هنا لنؤدي واجبنا فحسب».

ثم تنهد في حرارة قبل أن يستطرد في أسى:

- لذا فهو الآن رهن الاعتقال حتى يتم التحقيق معه في تلك الجرائم طبقًا للقانون».

تحول بعينيه التي تبضع دمعها صوب والده فانسحق قلبه تحت وطأة نظراته المنكسرة الذليلة

وهو الذي اعتاده قويًا صلبًا كالجبال الرواسي، وغمغم أبوه بصوت خافت يقطر ألمًا:

- «سامحني يا ابني الحبيب لم أكن أتصور أن تراني في هذا الموقف المشين قط».

حاول (طارق) أن يستجمع شنآن نفسه وهتف في عصبية بالغة:

- «مستحيل يا أبي، لا أصدق ما أراه بعيني، ومن المؤكد أنني أحيا كابوسًا فظيعًا، وسأستيقظ منه حتمًا».

قال عبارته الملتاعة، وعانق والده بقوة ودموعه تفر من مقلتيه لتنساب على وجهه في غزارة

وهو يستطرد مستوضحًا في مرارة زكمت حلقه :

- «أكانت تلك الاتهامات التي يتهامس بها الجميع حقيقة مجردة من أية أهواء؟!».

جاوبه والده بالنفي بإشارات عديدة برأسه وكاد أن يتفوه بكلمات يبرئ بها نفسه أمامه

لولا أنه بترها مع إشارة الضابط للقوة المصاحبة بأخذه إلى إحدى سيارات الشرطة الزرقاء

وهو يجاوبه في لهجة رسمية :

- «منذ ساعات قليلة أصدر النائب العام قرارًا بضبط، وإحضار والدك والتحفظ على جميع ممتلكاته

ومنعه من التصرف فيها».

وأشار إلى سيارته الجديدة قائلًا في حسم :

- «حتى سيارتك الأنيقة هذه، سنصادرها منك، و... ».

وهنا قاطعه (طارق) قائلًا في دهشة:

- ولكنها مسجلة بالفعل باسمي منذ صباح اليوم.

أومأ له الضابط برأسه إيجابًا وبادله ابتسامة خفيفة وهو يقول له بلطف:

– «هذا من حسن حظك بالفعل لولا ذلك التسجيل لكانت الآن مصادرة هي الأخرى».

قال عبارته ثم نكص على عقبيه مغادرًا المكان برفقة قواته تاركًا (طارق) وحده لا يدري ماذا يفعل في ذلك الموقف العصيب؟!

فتسمر في مكانه يفكر فيما آل إليه حال والده، ومصير حياته فيما هو مقدم عليه .

ولكنه أبى أن يرضخ لما حدث، فجفف دموعه براحته في هدوء مثير وعيونه تنضح بتصميم عجيب للخروج بوالده من هذا المأزق

ثم أخرج هاتفه الجوال وضغط زر الاتصال بمحامي والده،

واتفقا على أن يتقابلا سويا في الحال بقسم الشرطة

وبالفعل لم يكد ينهي المحادثة حتى استقل سيارته مرة أخرى، وانطلق بها بسرعة..

وعند ناصية الشارع اضطر للتخفيف تدريجيًا من سرعتها ويا ليته ما فعل!

هذا لأن ما حدث في الثواني التالية لم يسره على الإطلاق..

فبمجرد ما تباطأت سرعة سيارته تمكن ذلك البلطجي من فتح بابها وولجها بعنف شديد..

وهو يشهر مسدسه القوى في وجه (طارق) ثم هتف به بصوت هادر وصرامة قاسية:

– «هيا.. بدون ضوضاء، افتح الباب الذي بجانبك، وغادر السيارة بهدوء تام».

قال عبارته ثم جذب مشط أمان مسدسه حتى صدرت منه تكة خافته
وهو يردف في حدة:

- «وعندما تفعل، حينئذ سيكون من حسن طالعك ألا أراك على مرمى بصري، وإلا...».

عندها أسقط ما في يده مع عبارات التهديد، والوعيد الصارمة التي سمعها

فلم يقاوم قط مهاجمه، وأنى له بصراع لم يألفه طيلة حياته الخاملة التي لم يعرف فيها سوى متع الحياة الدنيا ..

لذا فلم يجد أمامه إلا أن يتخلى عن سيارته إلى سبيل التيه .

في ذلك المساء الذي لم يرَ مثيلًا له في حياته الحافلة...

وفي الصباح اندهش رفاقه عندما رأوه قادمًا باتجاه محطة الباص الشهيرة

بدون سيارته الجديدة.

وتعتري ملامحه معالم الشرود والحيرة وهو يعبر الطريق صوبهم

ثم في اللحظة التالية ارتفع صرير إطارات سيارة مسرعة تحتك بإسفلت الطريق .

وحاول قائدها يائسًا إيقافها بغتة عندما وجده في طريقه ولكن دون جدوى.

ففشل السائق في مسعاه، والسيارة تقتنص هدفها في مشهد بشع للغاية ليحلق (طارق) بجسده عاليًا

ثم يهوي على قارعة الطريق بكل قوة أمام السيارة، مضرجًا في دمائه الحارة الغزيرة

ولم ينتظر سائق السيارة المسرعة لحظة واحدة لاستيضاح ما حدث

بل بكل خسة انطلق بسيارته بأقصى ما تسمح به سرعة محركها

متخطيًا بها جسده الذي أطلق من أعماقه صرخة ألم مدوية،

ورفاقه يتجمهرون حوله يحاولون إسعافه

وهو ينازع سكرات الموت الذي حام حوله بشدة ..

وبعيون نصف مغلقة تمكن من رؤية الأرقام المميزة المقتضبة لتلك السيارة التي دهسته

بعدها أسبل جفنيه وطفت على ملامح وجهه شبح ابتسامة ساخرة..

اندهش الجميع لمرآها لتضاد ذلك مع ما حدث له منذ ثوان.

ولأنه وحده وفي قرارة نفسه يعلم الحقيقة المرة بعد زوال كل شيء.

بداية من والده الأسير حتى سيارته الأثيرة.. التي صدمته الآن بلا رحمة.

لتجهز على روحه التي شعر بها تنسحب من جسده تدريجيًا .

تاركة خلفها ذكرى مؤلمة لما حدث له في

هذا المساء..

مأساتي

«رفقًا بي يا دكتور فأنا لا أستطع تحمل نظرات الشفقة في عينيك!
تلك النظرات التي تنصهر من شدة وطأتها مشاعري وينشطر من أثرها كياني ثم ينسحق فتات..
حتى لأكاد أذوب لفرط قسوتها من قمة ناصيتي الرمضاء حتى أطراف أنامل قدمي الجدباء.
وبرغم محاولاتك اليائسة لإخفائها بالالتفات يمنة ويسرة كل حين وآخر صدقني لن أطيقها.
لأنني وللإنصاف أستحق ما يضادها من نظرات السخط والبغض القاتم.
ولعلك الآن فقط أصبحت تعلم علم اليقين السبب لما آل إليه حالي المتردي، والذي لا أبغي له علاج على الإطلاق.
ومن المؤكد أنك ستتساءل الآن مندهشًا
لماذا قدمت إليك إذا كنت لا أريد الشفاء من سقمي؟
حينها أجيبك ببساطة بأنني لم أجد آذانًا مصغية لكلامي غيرك.
بعد أن فقدت أعز ما أملك وتجرعت وحدي بفراقه كأس المر الصديد.
وصرت بعده أعانى عذاب الوحدة ومرارة الفراق.

وأوشكت فعليًا على شفا الجنون المطبق.
لذا كان لزامًا علي أن أخبرك بمأساتي
حتى تكون عبرة لمن سيخلفني على دربها.
لذا ائذن لي الآن بالانصراف غير عابئ بما سيصير إليه حالي.
فحاضري ومستقبلي أصبحا سيان بعد أن غدوت فيهم بائسًا بنصف حياة..
ولولا بقية من إيمان في قلبي لاخترت درب الانتحار نديمًا.
وها أنا ذا قد تركت بحوزتك تجربتي المريرة.
يمكنك تمحيصها كيفما شئت.
فلم أعد أبالي بشيء بعد أن فقدت بلمحة واحدة كل شيء».

****

ضغط الطبيب النفسي الشهير بسبابته زر جهاز التحكم لإغلاق جهاز التسجيل.
معلنًا بذلك انتهاء الجلسة العلاجية لذلك المريض القانط..
والذي ختم حديثة بتلك الكلمات المؤلمة التي ينفطر من أجلها أعتى الوحوش في البرية.
ورغم محاولات الطبيب النفسي لإثنائه عن مغادرة عيادته
قبل أن يحاول التخفيف من وطأة حالته النفسية البالغة السوء
إلا إنه صمم بعزيمة لا تلين على الانصراف غير مكترث بشيء!
حينها لم يجد الطبيب أمامه بُدًا آخر سوى الانصياع لقراره الحازم.

فتركة ينصرف وهو يشيعه بنظرات تنضح بالشفقة والرثاء فذهب لا يلوي على أحد..

وهو يدير مقعده المتحرك صوب باب حجرة الكشف التي كان في استقباله خارجها ذلك الممرض، الذي رثى لحاله لذا ما لبث أن راه حتى هرع إليه بلهفة ليأخذ بمقبض مقعده المتحرك إلى خارج حدود العيادة الطبية

وفي تلك الأثناء حاول ذلك الطبيب جاهدًا أن ينفض عن ذاكرته ما عاصره من أحداث مع ذلك المريض، حتى طيلة الجلسات المتوالية مع مرضاه ولكن هيهات فكل تفصيلة قد حدثت حامت كالإعصار في تلافيف عقلة

مجندلة كل ما تبقى له من عزيمة للتناسي لذا لم يكد يفرغ من الكشف على آخر مرضاه، حتى قرر أن يستمع لحكاية ذلك المريض البائس بكل حذافيرها.

فشرع بالضغط على زر جهاز التسجيل وانتبه بكل حواسه، وهو يرهف سمعه بآذان مصغية لينساب الصوت المضطرب عبر الأثير

وهو يقول بجزع:

- «جاءت بداية دنياي يا دكتور ويكأن هناك مثال فرعوني قهره الحزن قرر أن يجسد ألامه وعذابه عبر الواقع، فنحت على جدار حياتي جميع مآسي البشر فلقد نشأت يتيم الأبوين وعلمت من جدي الذي تكفل برعايتي، منذ حداثتي أن أبواي قد أودى

بحياتهما سائق أهوج مخمور لا يبالي بحياة البشر لذا سحقهما بسيارتهما،
بواسطة عربته العملاقة، ودون وازع من ضمير أو حتى أخلاق تركهما يلفظان أنفاسهما الأخيرة..
ليهجراني مجبران لأقاسي دونهما مرارة اليتم، وجسامة الفاجعة الكبرى التي كانت في أوجها بوفاة جدي، ورحيلة عن عالمي بعد انقضاء عقدي الثاني ولأنني وجدي كنا نكابد شظف العيش، فما بالك بحياتي من دونه لذا فقد رحل مخلفًا ورائه شبح إنسان محطم يكافح جاهدًا، حتى يحصل بالكاد على قوت يومه، من العمل الدؤوب في إحدى مصانع الصاج بالمنطقة الصناعية بحلوان والتي لا تبتعد كثيرًا عن حيث أقطن بذلك المنزل المتصدع الذي جار عليه الزمن.. حتى أني كنت دائمًا ما أترقبه ينهار منطبقًا على أم رأسي، ليريحني من وعثاء دنياي، وشقاء أيامي الذي لازمني كظلي طيلة حياتي.
حتى تغير بي الحال إلى النقيض، وابتسمت لي الدنيا فجأة في ذات ليلة.
حينها كنت عائدًا من عملي بعد يوم شاق ومرهق كالعادة، وبعد ترجلي من الحافلة الخاصة بالمصنع أحكمت ياقة معطفي الرث جيدًا، تزامنًا مع هزيم الرعد الذي لاح في السماء إيذانًا بموجة أمطار عارمة وبالفعل ما انقضت برهة من الزمن، حتى هطلت الأمطار الغزيرة محجمة بذلك خطواتي النشطة لأضطر مجبرًا إلى الاحتماء أسفل إحدى الشرفات، حتى تنتهي زخات المطر التي أخذت ذكرياتي

معها في الاسترسال حتى أن حنقي حينها بلغ مداه من تردي أحوالي، ولم تكد الأمطار تخفت تدريجيًا حتى شرعت في استكمال طريق عودتي بعد انقشاع السحب، وظهور القمر بدرًا منيرًا في السماء، ومع تحسسي لخطواتي لمحتها، كانت قابعة بجوار جدار ذلك البستان، يتلألأ جزء بارز من سطحها البلوري الأملس تحت ضوء القمر.

فانتبهت إليها ولأول وهلة لم أصدق بصرى الذي خطفته ففركت عيناي حتى أتبين حقيقة حلمي، ومع سطوع الحقيقة بأنني أحيا واقعًا ملموسًا تقوست بسرعة لأنتزعها من بين الوحل الذي تصارع عليها..

وهنا تصاعدت ضربات قلبي حتى كادت أن ترديني؛ فقلبي الصغير لا يحتمل. ولوهلة لم أصدق ما تحمله قبضتي، ولكن الحقيقة ومضت كالبرق في تلافيف عقليل، تخبرني بعثوري بتصاريف القدر على أثمن الأحجار الكريمة على وجه البسيطة

(الماس)

وقد حزت إحداها، ماسة لا تقدر بثمن، وكالمجذوب رحت أتلفت يمينًا وشمالًا؛ لأتيقن من أن أحدًا لا يراني وصيدي الثمين الذي اقتنصته بمصادفة مدهشة. وكالمسحور أخذت أزيل ما علق بها من طين بطرف معطفي المهترئ لينول الشرف السامي

ثم ببالغ الحذر دسست ماستي في جيب معطفي العلوي بجوار قلبي مباشرة، حتى أبثها ضرباته المنتشية، وهنا تسمرت وشعرت أن الزمن قد تجمد بي لثوانٍ وأنا غير مصدق على الإطلاق تلك اللحظة الفارقة من حياتي أهي أضغاث أحلام حقًا، أم واقع ملموس أحيا تفاصيله

المستحيلة بحذافيرها! انتزعت نفسي من جمودي وأنا أعدو بصيدي الثمين صوب منزلي، الذي سيتراقص طربًا لاستقبال كنزي الماسي في تلك الليلة المبهجة.

وهناك أخرجت ماستي وأخذت أهيم في عالم وردي وأنا أتلمس سطحها الأملس المصقول البارد

ورحت أتأملها مليًا من كافة تضاريسها المتلألئة وهي تسطع كألوف الشموس المبهرة تحت ضوء لمبة حجرتي العتيقة، وكانت بالفعل من أجمل ليالي حياتي، نمت فيها قرير العين ألوذ بدفء ماستي التي أحتضنتها حضن الأم لوليدها، وفي الصباح تغاضيت عن الذهاب إلى العمل، وقضيت يومي أرفل في أحلام الثراء الذي ينتظر وافده الجديد بأكاليل الغار، وهنا ماج عقلي بتخيلات شتى وذهبت السكرة وجاءت الفكرة ولست أدري لماذا قررت آنذاك ألا أعلن عن كشفي؟

ربما لأن الفقر قد نحت عظامي فأورثني الفتور والبلادة في مفارقته، أو أن الشح قد أسبغ عليّ من فيض كرمه فأرداني دركه السفلي، لذا فقد قررت التروي في الطفو لعالم الغنى، ولن أبرح منزلي، وعقدت العزم أن يظل الوضع كما هو حتى حين، ومضت أيامي التالية كسابقيها باستثناء أنني صرت واثق الخطا، متبختر الفؤاد، منتشي القلب من أثر ماستي التي أشعرني قربها بأنني أفوق ثراء عائلة (روتشيلد) نفسها!

ومع مضي أقل من عام حدث ما لا يتصوره عقل، ولا يخطر بقلب بشر، ويكأن القدر قد اصطفاني دون جميع البشر ليهبني من فيض كرمه، وهداني للعثور على ماسة أخرى!

وبالطبع كانت الظروف مختلفة، وكذلك حجم الماسة نفسها كانت أقل حجمًا من قرينتها بمراحل فغمرتني سعادة الدنيا، حتى أيقنت حينها أني أسعد البشر على الإطلاق، وبعد فترة مماثلة عثرت على ماستي الثالثة!

وللعجب كانت أيضًا أقل حجمًا من مثيلتها السابقة!

وختم القدر ألاعيبه معي بماسة رابعة بعد انقضاء نفس المدة الزمنية، وأيضًا كانت أصغر حجمًا، ومعها اعتراني إحساس مدهش بأنني صرت شاه البشر بلا منازع..

وهنا عصفت بي الدهشة كعادتها مع كل مرحلة سابقة، فالماسات التي حزتها كانت متباينة الأحجام للغاية، وكذلك توقيتات العثور أيضًا كانت متوافقة بشدة، تزامن ذلك مع ترقية استثنائية في العمل وبالتالي صعود المرتب لمرتبة أعلى

ابتسمت حينها ساخرًا فالأفراح معي جاءت حزمة واحدة وآن لي أن أسعد ويطرب قلبي بحق، ولكوني قد عزمت العزم مسبقًا على عدم البوح بسري حتى يحين الموعد المناسب، لذا ومع الكشف الأخير قررت حينها أن أبزغ لعالم الثراء بظهور ماساتي للوجود، بعد طمس طويل في جوف منزل عفن كالمقبرة العتيقة الغبراء.

قررت بعد الخروج من العمل في ذلك اليوم أن يكون هذا آخر عهدي بأيام البؤس والشقاء وأن أفارق منزلي لحياة رحبة جديدة، مع إعلان كشفي للنور لأطفو معه وبه لعالم الترف والبزخ اللا متناهي.

خاصة وذلك الصعود يتوافق مع مركزي الحالي بالعمل لذا لن يكون هذا بعجيب.

ومع استقراري على الفكرة، قررت وضعها موضع التنفيذ في تلك الليلة الدهماء.

أجل دهماء يا دكتور لأنها حملت لي أكبر فاجعة في حياتي..

الفاجعة التي قصمت ظهري بمطرقة هائلة ليس لها من راد!

كارثة شطرت كياني نصفين بمقصلة ماضية بلا أدنى رحمة، أو ذرة شفقة!

فجاء الهول الذي حول أحلامي بجنة الغد إلى جحيم مطبق بلا هوادة.

كنت عائدًا من العمل منتشيًا بحسن قراري الأخير، وبعظيم خطتي الحاذقة.

حينما رأيت بأم عيني منزلي العتيق يهوى على حلمي الأثير ليحطمه تحطيمًا

أجل انهار منزلي المتهالك على ماساتي رأسًا على عقب ليصيب حلمي في مقتل غادر بلا رحمة!

انهار المنزل العتيق أخيرًا، وانهارت معه كل أحلامي وأمنياتي بعالم مشرق رغد العيش، عندها حاولت أن أجر قدماي وأندفع للذود عن ماساتي لأفتديها بروحي ولكن قدمي خانتني، فلم تتحرك قيد أنملة عن موضعها، فارتج كياني كله وماجت عروقي بحمم اللافا وتقهقرت ما بها من دماء.

فمادت الأرض تحت أقدامي، ثم ضاقت حلقاتها بقوة، وتيبست أطرافي بحدة، وشعرت حينها بأن هيئتي أصبحت في حالة مريعة يرثى لها، كأبشع تمثال رخامي في مزار الجحيم.

وتزلزل كياني ثم انهار بحدة كانهيار برج التجارة العالمي (إمباير ستيت)في أحداث سبتمبر!

وكطود صار دَكًا من شدة القنط، سقطت على الأرض بلا حراك، لينتهي كل شيء تمامًا..

بضغطة زر توقف انسياب الحديث، ثم رفع الطبيب النفسي الشهير ملف ذلك المريض من على سطح مكتبة وأخذ يتصفح أوراقه العديدة وملامح وجهه تنضح بالمرارة، وما لبث أن استل قلمه من غمده ثم شرع يخط كلمات مقتضبة على روشتة خاوية، ويتمتم بعبارة مريرة خرجت كالعلقم من حلقه:

– «التشخيص: أزمة نفسية حادة على إثر مصرع زوجته وأطفاله الثلاثة نتاج انهيار منزلهم المتصدع ليدفنوا أحياء».

أنين الذكريات

كان يهم بعبور الطريق عندما لمحها هناك صدفة على الرصيف المقابل برفقة طفل وديع، تتأمل فاترينة ذلك المتجر الشهير، الذي ذاع صيته، وبلغت شهرته الآفاق..

هي بالضبط كما رآها آخر مرة لم تتغير قط، برغم مرور سنوات عديدة على الفراق، لا تزال فاتنة تتحدى نوائب الدهر وتقلباته، التي عصفت به حتى بلغت الذروة فهرم تسمر في مكانه فلم تتحرك قدماه قيد أنملة، وأطلق العنان لشريط ذكرياته، لينطلق من ثنايا ماضيه الأليم، صوب حاضره الشريد ..

ليتذكر الحلم الجميل الذي جمع بينهما يومًا ما..

بذلك الحب السامي الذي خفق به شغاف القلبين المرهفين، والذي وقفت المادة حائلًا أمام تتويجه برباط الزواج المقدس..

فكان مصيره الرفض القاطع، وبلا رحمة عندما تقدم يطلب الاقتران بها، فلم يجد أمامه آنذاك سوى درب واحد يسلكه، حينها قرر البعاد عنها إلى آخر مكان على وجه البسيطة..

إلى (أمريكا) حيث المال الوفير، والثراء السريع ..

فارقها بعد أن وعدها بأن يعود إليها يومًا بكل الأحلام، التي ستمحو من قاموس حياتهما لفظ كلمة مستحيل.. سافر والتحدي يملأ كيانه

كله، كافح بكل طاقاته ..قاتل كل العقبات والصعوبات، ومضت سنوات عديدة، حتى أصبح من أبرز رجال المال والاقتصاد.

ومنذ بضع سنوات عاد لحضن وطنه ..

حاملًا بين جوانحه آمالًا عريضة بأن يبعث الحب القديم

من الفناء إلى الحياة مرة أخرى...

ولكن للأسف اصطدم حلمه المشرق بالواقع المستحيل

فارتج كيانه كله عندما علم بأنها قد تزوجت بآخر بعد رحيله عنها..

لم يجلد ذاته لأنه تأخر في القدوم إليها، فهو الذي غاص في دربه العملي حتى تجاوز الستين من عمره، وأيًا كانت المبررات والأسباب التي قادتها للرضوخ لتلك الزيجة، فهو من أعمق أعماقه يلتمس لها العذر..

وهنا جاءت لحظة الاختبار والاختيار بين أن يتدثر بالأحزان، أو أن يزرع في أرض الحزن نهارًا..

هذا لأنه يحبها من صميم قلبه، والحبيب الحق دائمًا ما يرتضي السعادة الأبدية لمحبوبه، حتي ولو كانت مع غيره.. المهم أن يحيا متنعمًا مسرورًا، هذا ما أقنع به ذاته عند علمه بهذا الخبر الكارثي، بعدها انغمس في عمله حتى النخاع لكي يتناساها..

ولكن كأن القدر كان رحيمًا به فلم يمهله طويلًا، حتى قرأ في الصحف عن خبر وفاة زوجها لاعب الكرة المعروف، حينها تدفقت دماء الحياة مرة أخرى في شرايينه، وأيقن أن الدنيا قد صفحت عنه وابتسمت

له أخيرًا، فقرر أن يطير إليها لكي يعود نبع الحب يسري بين الدروب العاشقة..

ولكن مرة أخري اصطدم بحاجز صلب عاتٍ واجهه ..

فبعد أن أصبح حلمه قاب قوسين أو أدني من تحقيقه، فوجئ بأنها سافرت خارج حدود الوطن إلى أرض لا يعلمها سواها، حينها سقط قلبه بين قدميه بكل قوة، وعاش مأساة إنسانية بشعة، عاش بائسًا بنصف حياة، إنسان قانط بقلب كسير ذليل بدونها، والآن فقط رآها، كأنه رأى الماء العذب بعد مسيرة أيام وليالٍ داخل حدود صحراء جرداء مقفرة كأنها الجنة على أرض الخطيئة

وكالإعصار ماجت تساؤلات عدة داخل ثنايا فكره

هل هي.. هي حقًا؟

وما يراه الآن واقعًا مجردًا من أي هوى؟

أم أضغاث أحلام وسراب؟

وهل ما زالت على العهد الموثوق بين قلبيهما؟

وهل هي الآن حرة؟

أم ارتبطت بشخص آخر؟

ترك لتساؤلاته العنان، وذهبت السكرة، وجاءت الفكرة، وهنا قرر وأد الحيرة في مهدها بمعرفة الإجابة من قلبها..

ولم تكد الفكرة تستقر بعقله حتى وضع كل طاقاته في قدميه، التي أصبحت آلة للعدو فأسرع بعبور الطريق إليها، وهناك ارتجفت كل مشاعره، وهو على بعد خطوة واحدة منها، وكاد أن ينهار ويسقط

مغشيًاعليه من فرط اضطراب أعماقه، وهو يربت على ظهرها في حنو لا مثيل له، فالتفتت إليه إثر ذلك الفعل ليرتد مصعوقًا بعد تلك اللمسة كأنما أصابه ماس كهربائي .

فبادرها قائلًا بلهفة الغريق لطوق النجاة:

– «أخيرًا.. أخيرًا يا حبيبتي بعد طيلة هذه السنين نلتقي سويًا هنا!».

رمقته بنظرة حانية، وكأنما لم تباغتها رؤيته وابتسمت له ابتسامة هادئة، ثم أومأت برأسها قبل أن تهتف بلطف شديد:

– «اصبر يا (حامد) ما هي إلا دقائق قليلة، وأقتني ملابس لطفلنا الصغير.

قاطعها في دهشة بالغة:

– «ماذا تقولين؟ طفلنا الصغير! وأنى لي بطفل منكِ وأنا لم ألقاكِ سوى الآن فقط بعد فراقنا منذ زمن بعيد!».

ضربت كفها براحتها، وزفرت بحرارة، ثم مصمصت شفتيها في امتعاض، وقالت بإشفاق الأم لرضيعها اليتيم:

– « يا لمأساتك المفجعة يا حبيبي! لقد أصابك داء الزهايمر في الصميم بلا هوادة و....».

وبترت عبارتها عندما ارتفعت ضحكته ترج سماء الطريق، وعلت ملامح وجهه شرود طاغٍ، وبحيرة مشفقة ترجل من أمامها صوب قارعة الطريق الزاخر بالسيارات المسرعة، يبغي هدفًا واحدًا فقط دار بفَلَك عقله بلا رحمة، وهو الهروب من واقعه الأليم إلى حقيقة مؤكدة والفرار من ضيق الدنيا إلى عالم آخر رحب كل ذلك من أجل

الانسلاخ من الأنين الرهيب الذي يعصف بعقله، ويفتك بحياته، أنين الذكريات.

القسم الرابع

تصنيف:رومانسي

ذات ليلة

إهداء/ إليها من وحي عينيها.

❋❋❋❋❋❋

(خواطر مستوحاة من واقعة حقيقية)

سألت مرة القمر بعد السماء ليك مين؟!
بكت عنيه المطر وتاه كما التايهين..
ورغم حكم القدر تحت السماء عاشقين.

***

نامت المدينة.. نامت والتقينا أنا وقمر الليالي، ذلك الذي كانت رؤيته حلمًا مستحيلًا لدرب الخيال أقرب، وتحول بغتة بين غضون نهار وليلة إلى واقع ملموس، أراه رأي العين، وأخاف ملء الخوف أن يكون هاجسًا يعتريني..

كم رسمته بفرشاة أهدابي الحالمة أملًا أن يأتيني بفرح العمر لأمحو به كل آلامي، فقط وحده وليس سواه يستطع ذلك، وجاءني في تلك الليلة التي لا تتكرر في العمر سوى مرة واحدة، ليلة ساحرة، بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ خلابة لا مثيل لها.. تألقت فيها نجوم الليل كحبات لؤلؤ مفروط من عقد مرمري انتثرت في الفضاء السرمدي بتناسق خلاق في لوحة إلهية بديعة انبثق في مركزها قمر قابع في منازل البدر، يشع ضياءً ساطعًا لتكتمل تلك الملحمة الشاعرية بغموض مثير هائم في الأثير، كان الصمت يلف أرجاء المدينة برداء حالم هو للعشاق الحيارى منارة، كنت هناك على موعد مع القمر..

كم كان من الرائع أن نلتقي بعد طول عناء بلا قيود أو حدود، وبغتة حدث ذلك الحدث الخارق لكل نواميس الكون مع خفوت النجوم كشموع ذائبة، انزوى ضوؤها، وخيم الظلام على الأفلاك مع تضاؤل القمر ذاته، بعد أن أصبح محاقًا، وتقلصت كتلته حتى صارت كالنواة، وخفت ضياؤه حتى صار بصيصًا، مجرد بصيص ضوء لا يهدي تائهًا، وهنا تجلت الأسباب، وسطعت الحقيقة وانقشع الظلام وتبدد تمامًا..

مع ظهور ذلك الملاك في شرفته الشامخة، وغمر نوره الملائكي كل الأجواء بلا استثناء، فأغشى عيوني المسهدة برقة متناهية، هو للفتنة مرادف، فاتن بحق الكلمات، حتى فينوس تتوارى خجلًا بجواره..

ولكن وآه من لكن ..

كان بعيدًا بعد السماء عن عالمي، قابعًا في مرساة كملك متوج للوجود، في برجه العاجي الشامخ العتيد، وبأقصى مدى اشرأبَّ عنقي لأعانق السراب، ومددت يدي حتى انتصبت أناملي وجاهدت حتى أنول شرف مصافحته، وأصبتُ مأربي فقط في دنيا الخيال.

وهنا لم أجد أمامي سوى أن أناجيه..

فخاطبت طيفه بلسان أبكم، وعقل مسلوب، واسترسلت في النداء طويلًا لأمير القلوب، ولكنني وللأسف لم أسمع سوى صدى صوتي..

عندها صمت الكلام ،عندما ضل درب الجواب..

فقط تعانقت العيون بنظرات ساهمة شاردة، وتشابكت الأهداب كأقوى شباك الصيد في البرية، وتلاحمنا كالخصوم في غزوة بلا اندحار..

عنها وتحدثت لغة العيون، ودار بينهما حديث طويل، مثير حالم كالنسيم الهائم، فأبرقت له بأعذب الكلمات، وأرق الهمسات وغاية الأمنيات، بمفردات لم يعرج إليها لب.

كنت السؤال، وكان كل المنال..

كنت أعرف يقينًا أني أناجي المحال، ولكن من يقر بدوام الحال؟

لذلك ذهب الليل كما بدا، ولم أشعر بمضي الوقت سوى مع الرحيل، رحيل كل شيء جميل..

القمر ونجومه التي أفلت كشموع محترقة، وعبق الليل الذي تبدد بنسيم الصباح، والغسق الذي رحل في هبة ريح..

قانصًا في جعبته غنائم ونفائس عديدة، من سكينة وهدوء وشاعرية وشجون، وغموض وجنون وأحجية بها سر الكون..

ومع تعانق الجفون إيذانًا بنهاية اللقاء بأرض الفناء، لتتمزق بقوة كل الهمسات الباقيات في العيون..

عنها انتفضت بعقلي وقلبي وارتجف كياني بجزع، مع بزوغ فجر يوم جديد حاملًا معه نسمة صباح عطرة..

وهنا ارتفعت في تناسق مبهر اللوحة الرائعة لليل الهادئ، وأسدلت ستارة شمس النهار المشرق، لينثر من فيضه الخير على أرجاء الكون الفسيح..

عند هذا الحد ذهبت السكرة وجاءت الفكرة، بتساؤلات لا حصر لها أنهكت ثنايا أفكاري، وهاج بها عقلي كبحر متلاطم الأمواج..

هل ما حدث حقًا هو نهاية البداية؟

أم بداية الحيرة لألف ليلة وليلة؟

وهل ستعود تلك الليلة؟

أم ستظل مجرد حلم جميل هوى في غياهب ليل طويل؟

وهل سأظل حائرًا ملهوفًا للمعرفة؟

أم سيهبط الجواب على مخيلتي يومًا ما؟

علامات استفهام عديدة حائرة حلقت في سماء المدينة بلا هوادة، وبلا مَرسى حتى إشعار آخر..

وليلة أخرى.

صيف٢٠٠١

فتاة أخرى

انهمرت دموع(رواء)حارة لتغرق محياها الجميل وتسيل منه في غزارة على وسادتها في تلك الليلة

وهي تطلق لذاكرتها العنان إلى أسبوع واحد فقط مضى ..

عندما قدم إلى كليتها ذلك الشاب الوسيم الذي كان مسار حديث كلية التجارة كلها

بوسامته المفرطة، وملامح وجهه التي تشبه إلى حد كبير نجم السينما الشهير(أحمد عز)...

ومنذ أن رأته لأول مرة تفتق ذهنها على أمر واحد فقط..

(أريد هذا الرجل لي وحدي)..

هذا لأن حب التملك كان يطغى على كل حياتها، وبالفعل بدأت هي ترمي سهام نظراتها تجاهه

خلال تلك المحاضرات التي جمعت بينهما

كانت شديدة الثقة بنفسها وفي أعماقها حقيقة أنه لن يصمد طويلًا وسيسقط حتمًا في شباكها

ومن يقاوم ذلك الجمال الذي يخلب اللب بوجهها المستدير ببشرة بيضاء كالقمر في ليلة شديدة الصفاء!

وشعر أشقر كشلال من الذهب الصافي المنهمر ينسدل على كتفيها في نعومة ليس لها مثيل!

كانت حقًا مثالًا للفتنة المجسمة، وهذا ما أورثها ذلك الشعور بالغرور لذا فهو حتمًا سيكون من نصيبها هي، فالجمال لا يرافقه سوى مثيله..

ولكنه كان على عكس ما توقعته تمامًا، كان شديد التجاهل لكل محاولاتها للفت أنظاره إليها

طوال الأسبوع المنصرم، وكان هذا بمثابة صدمة قاسية لها، وعندها قررت أن تقتحم حياته وبأي ثمن.

وبالفعل واتتها الفرصة عندما وجدته يجلس وحيدًا في فناء الكلية هذا الصباح

فتقدمت منه وعلى وجهها ابتسامة ساحرة تدربت طويلًا على رسمها على محياها أمام المرآة.

واقتربت منه في بطء هامسة له بصوت خافت عذب :

- «صباح الخير أيها الزميل الجديد هل يمكنني التحدث معك قليلًا؟».

استدار إليها وعلى وجهه علامات الدهشه لجرأتها الشديدة في إقدامها على الحديث معه

وهو الذي ما كان دائمًا يتحاشى نظراتها الفجة تجاهه، وبالرغم من ذلك حاول أن يطبع على وجهه ابتسامة خفيفة

وهو يقول لها في لطف :

- «على الرحب والسعه أيتها الزميلة العزيزة».

ثم لوح لها بيديه لأن تجلس بجواره قائلًا:

– «تفضلي بالجلوس».

وبالفعل جلست وعلى وجهها حمرة الخجل من رد فعله المهذب للغايه تجاهها لكنها قاومت تلك المشاعر وهي تحاول جاهدة أن تعلو ملامحها تلك الابتسامة الساحرة

التي دائمًا ما كانت تخلب لب أعتى الرجال وحشية.

هتفت به في صوت أرادته أن يخرج من شفتيها الجميلتين بأقصى عذوبة ورقة:

– «اسمى (رواء رمزي) وأنا مسئولة النشاط الفني بالسنة الأولى بكلية التربية».

كان هذا بمثابة مقدمة تعارف ابتدرتها هي .

وبالفعل كالمسحور أسكره سحرها الفتاك وهو يهيم في عينيها الزرقاوين قائلًا لها مشدوهًا :

– «وأنا (فارس مندور)و قدمت إلى الكلية مؤخرًا بعد قدومي، وعائلتى من دولة الكويت بعد انتهاء عقد عمل أبي هناك و..... ».

صمت فجأة وكانه تذكر أمرًا ما وهو يخرج هاتفه الجوال من ثيابه وأخذ ينظر إلى شاشته فى توتر ملحوظ

ويتمتم بكلمات غير مفهومة وكأنه ينتظر شخصًا ما تأخر عليه بالفعل فنظرت (رواء) إليه بنظرة تساؤل وفي أعماقها يدور السؤال كطاحونه هولندية لا تكل من الدوران..

فمن يا ترى ينتظره هذا الفارس بترقب وشغف هذا الصباح؟
أهو شاب أم فتاة؟
وجاءت الإجابة على هيئة صوت أنثوي انبعث من خلفه تمامًا، وتلك الفتاة القادمة
تقول له في شوق ولهفة :
- « (فارس) هل تأخرت عليك يا عزيزي؟!».
عندها انتابت (رواء) كل المشاعر التي تحمل مرادفًا للدهشة الكاملة؛ هذا لأن الفتاة القادمة كانت لا تحمل أدنى شيء من الجمال، بل كانت على العكس تمامًا..
دميمة للغاية إن شئنا الدقة، وهي بقدومها حملت إجابات لكل الأسئلة التي كانت حائرة طوال الأيام الماضية.
إذن فها هي ذي رفيقته، إذن هو من النوع الذي يفضل الدميمات حتى يبرز وسامته أمامهن!
..عندها هب(فارس) ملتفتًا إلى محدثته وهو يمد لها يديه فى ود ولهفة قائلًا لها في حماس :
- «لا تهتمى يا عزيزتي أنا على استعداد تام لأن أنتظرك العمر كله..».
واستدار ملتفتًا مرة أخرى إلى (رواء)محدثًا إياها:
- «أقدم لكِ... ».
لكن(رواء) لم تكن هناك، بل فرت مسرعة وكأن شياطين الجحيم تطاردها

وعلى وجهها دموع الانكسار، والمهانة لما رأته بأم عينيها وصدمتها مع أول شاب في حياتها لا يعيرها أدنى اهتمام، ويفضل عليها تلك الدميمة

عندها باتت ليلتها وعلى وجهها دموع المرارة وفي الصباح حاولت جاهده التغلب على مشاعرها

وطرد ذكريات الأمس المريرة خلف ظهرها وهي تقود سيارتها باتجاه كليتها، وفي طريق الكلية لمحته

هو ورفيقته الدميمة تتأبط ذراعه في هيام..

عندها استعادت كل مشاعر المرارة، والغضب، والغيرة تنهش قلبها بكل قوة لما حدث.

ولم تدرِ بنفسها وهي تضغط دواسة الوقود بأقصى طاقتها باتجاههما

وبالفعل شعر (فارس)بتلك السيارة المسرعة القادمة باتجاهه فجاوبها بانحناءة جانبيه

وهو يحاول أن يأخذ رفيقته معه

لكن رد فعل فتاته لم يكن مناسبًا للفرار من صدمة الاصطدام المباشر بتلك السيارة لتطير في الهواء ثم تهوى أرضًا والدماء تغرق وجهها في مشهد بشع للغاية

و(فارس) غير مصدق لما حدث بعد أن نجا بنفسه، وعلت ملامحه الذهول التام

وهو يرتمي أرضًا منحنيًا على رفيقته يحاول إسعافها، ودموعه تغرق مقلتيه

هاتفًا بها فى حزن عميق:

- «لا.. لا.. يا (ندى) أرجوكِ لا تموتي يا حبيبتي!».

وصرخ في جموع الناس الذين تجمهروا حوله في ضراعة:

- «اطلبوا الإسعاف بسرعة أرجوكم، شقيقتي الوحيدة تحتضر».

عندها لم تتمالك(رواء) نفسها بعد أن علمت حقيقة علاقته بتلك الفتاة

فأطلقت صرخة مدوية تردد صداها طويلًا..

وهي تنهار وغامت الدنيا أمام عينيها

تمامًا .

رصيف الهوى

بهدوء حذر انسل بجسده النحيل من قلب ذلك الزحام، وانطلق يبتعد بخطوات واسعة وفوق صفحتي شفتيه ارتسمت ابتسامة جذل ظافرة، وهو يربت على تلك الحافظة المتخمة بالنقود التي ترقد في أمان بقاع جيبه، واعترته نشوة طاغية وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا، ممنيًا نفسه بحياة رغدة طيلة أيامه المقبلة، يمحو بها شظف العيش الذي أنَّت منه خلاياه..

عندها طافت بفلك عقله أحلام وردية، شعر معها برغم نحافة جسده بأنه أقوى من (سوبر مان) وأغنى من (جيف بيزوس)ذاته!.

وهنا قرر العودة بما جاد به عليه طالعه السعيد إلى حيث يقطن، وبالفعل لم تكد الفكرة تستقر بمخيلته حتى انطلق صوب محطة المترو الشهيرة، وقادته قدماه إلى رصيفها وبينما هو في خضم أفكاره المستقبلية، بما سيفعله بتلك النقود التي جلبها بخفة يده، إذ به يلمح فتى في مقتبل عمره، وهو يباغت خلسة إحدى الفتيات الجالسات على مقاعد الترانزيت برصيف المحطة، وبرشاقة يختطف من جوارها حقيبة يدها ويلوذ مسرعًا بالفرار، فتسمر في مكانه ولم يتحرك قيد أنملة، ولم يبادر بمطاردة هذا اللص الصغير، وكأن غريزة الشهامة والمروءة قد نزعت منه، بل كان رد فعله مختلفًا تمامًا وهو ينتصب

مشدوهًا، يتأمل تلك الفتاة التي خُطفت منها حقيبتها، وسلبت هي كذلك قلبه من بين جوانحه..
قلبه الذي لم يهفُ لأي أنثى من قبل قط..
وجاءت هيَ لتسحره بقدها المياس، وبشرتها الخمرية، وعينيها الذهبيتين الواسعتين كعيون المها..
وشعرها الكستنائي الذي ينسدل على كتفيها كموج البحر ..
حتى عندما انتبهت لفقد حقيبتها حمل النسيم استغاثتها لتنساب إلى أذنيه كسيمفونية بديعة، وهي تنتفض من مقعدها وتتلفت يمينًا ويسارًا، وتصيح بانفعال مضطرب:

– «النجدة.. أغيثونى لقد سُرقت حقيبتي!».

ولكن هيهات لقد تلاشى اللص الصغير بالانغماس وسط الزحام ليعلوا نحيبها الملتاع وهي تهتف من بين دموعها في مرارة مشفقة:

– «يا لتعاستي! لقد ضاع مرتب الشهر في طرفة عين».

التف حولها بعض رواد المترو يواسونها بعبارات مشجعة وببعض النقود التي أعطوها لها للتخفيف عنها من وطأة مصيبتها، وبعد انصراف الجميع عنها، انتزع نفسه من جموده، وهو يدنو منها ويمد لها يده بورقة نقدية ذو فئة كبيرة، قائلًا لها بهدوء لطيف:

– «تفضلي بقبول هذه المساعدة المتواضعة مع بالغ الأسى حيال ما حدث لكِ منذ ثوان».

أخذتها منه على استحياء وهي تقول له بامتنان عميق:

- «شكرًا جزيلًا على نبل أخلاقك، وكرمك الفياض، وأتمنى ألا تضعك الظروف السيئة في مثل حالي الآن».

جاوبها بابتسامة مصطنعة طغت على ملامح وجهه، وبضحكة ساخرة أخفاها بمهارة داخل أعماقه، لكونها لا تعلم حقيقة غرضه منها ورمقها بنظرة هيام، قبل أن يقول لها في إعجاب:

- «هذا أقل شيء يمكن أن أقدمه للتخفيف عن فاتنة مثلك، لا أتمنى أن تدمع عيناها الجميلتين أبدًا».

أزاحت خصله نافرة لشعرها من على جبهتها الملساء، حتى بدت كـ (افروديت)، وهي تهمس في خفوت:

- «أيمكنني اعتبار هذه العبارة مغازلة صريحة؟!».

تهللت أساريره، وهو يميل بجسده قليلًا إلى الأمام، لينتشي من عبق عطرها الفواح، قبل أن يعتدل ويقول في لباقة:

- «ولما لا تقولي أنني قد أصبت كبد الحقيقة باعترافي هذا؟!».

تضرجت وجنتيها بحمرة الخفر، فابتسمت في حياء، وغمغمت برصانة:

- «بالرغم من الظرف السيء الذى حاق بي، إلا أن حديثك المهذب

قد أخرجني من محنتي، و...».

امتزجت بقية عبارتها مع دوي المترو الذي أعلن عن وصوله إلى رصيف المحطة، ليستقر فاتحًا أبوابه على مصراعيها للغادون منه والمقبلين عليه فلوحت بذراعيها في اتجاهه، وهى تستطرد في حسم:

– «هيا لنستقل المترو سويًا، ثم نكمل حديثنا بداخله».

عندها اتجه صوب المترو، يتكأكأ على بابه مع زخَم رواده، وهي في إثره، حتى حال بينهما الزحام الشديد، وبعد ولوجه إلى الداخل سارع بحجز مقعد لها، وقبع ينظر انضمامها إليه بعد زوال التكدس على باب المترو..

فجلس ينتظر ..

وينتظر..

وينتظر..

وهو يرمقها ببصره من خلف نافذة المترو الزجاجية، ولكن فجأة انعقد حاجباه في دهشة بالغة مع التقاء جانبي باب المترو، بدون أن تدلف للمترو...

وفي اللحظة التالية غرفاه بذهول مطلق، وهو يرى اللص الصغير، وهو يظهر من خلف إحدى الأعمدة الرخامية لينضم إلى فتاته الجميلة، التي سارعت بالترحيب به، وهي تخرج من طيات ثيابها حافظة النقود، التي كانت بحوزته منذ لحظات معدودة، ثم التفتت إليه، وحدجته بنظرة شامتة امتزجت بضحكة ساخرة ..

تردد صداها في سماء الرصيف شبه الخالي من البشر..

لينطلق المترو بركاب مخدوعين يرافقهم غُر ساذج!

انطلت عليه خدعة ماكرة، من فاتنة ماهرة بالخداع

على الرصيف ...

رصيف الهوى.

قسمة و نصيب

انتفخت أوداج (نديم) وهو يعقد رباط عنقه زاهي الألوان، ومن داخل حجرة نومه راح يتطلع في مرآة عتيقة الطراز إلى ملامح وجهه الحليق ببشرته القمحية، وعينيه السوداوين، وشعره المجعَّد، ثم سرعان ما التقط سترته من فوق المشجب، وطفق يرتديها ويعدّل من هندامه ويتطيب بالزعفران، فصار في كامل مظهره وأوج أناقته، قبل أن يغادر منزله بحيوية ونشاط..

وفي طريقه عرج نحو متجر لبيع الزهور الطبيعية انتقى منه باقة ضخمة من الورود الحمراء، نقد البائع ثمنها على مضض، بعد أن وجد سعرها يتجاوز نصف ما بحوزته من نقود، بعدها خرج من المتجر وهو يتَرنَّم ويدندن غنوة عذبة شهيرة للمطرب الوسيم (فارس) تُميز فترة تسعينات القرن العشرينْ تقول كلمات مطلعها..

«جايلك بالشوق جايلك هوى *** جايلك وهواكِ أجمل دوا
ومتقلقيش مقدرش أعيش *** يا نعيش سوا يا نموت سوا».

ثم انطلق مستقلًا سيارة أجرة لتحمله إلى حيث تقطن معشوقته بارعة الجمال (هيفاء)..

تلك التي تتميز بأن لها من اسمها نصيبًا موفورًا، حيث أنها ممشوقة القوام من ذلك الطراز المبهر من النساء ذات الأنوثة الصارخة

بشخصية جذابة، آسرة تخلب الألباب، وفي مقياس الجمال تُعد أيقونة إغراء، لذا اِفتتنَ بها وسال لعابه وعينيه تتابعها في رواحها وغدوها، بل وخفق قلبه وتراقص بين جوانحه وذاب فيها عشقًا، ذلك القلب الذي كان يهفو دائمًا إلى الارتباط بفاتنة مثلها، وإذ به يُسارع بالسقوط في حبائل غرامها منذ أول يوم رآها فيه، عندما التحقت بالشركة التي يعمل بها..

وبروية أخذ ينسج شباكه حولها، ويغوص هائمًا في بحر عينيها الزرقاوين ليسبر أغوارهما بوَلَه المتيم، وجنى الثمار سريعًا وهو يرى ابتسامتها الخبيثة الواثقة تنضح على طرف شفتيها الجميلتين، فرقص قلبه طربًا مع استجابتها السريعة لمشاعره الجياشة حيالها، لتمضي الأوقات الرائعة وهما على هذا المنوال يتبادلان العواطف والغرام بتسبيل العيون والكلام المعسول، إنهما في الهوى قد تشكلا بين أساطير العشاق عصفورين مغردين، لا سبيل لعودتهما إلى أرض الفناء أبدًا، ومن حيث عالمهم الملائكي تعاهدوا على عدم التعامل بنفس المفردات الرديئة مثل البشر..

(الشك، والكذب، والغيرة، والغدر، والخيانة، والخداع).

والمدهش أن(هيفاء)قد قضت على تردده المستمر بأن يتزوج وهو الذي قد تجاوز العقد الثالث من العمر، وكانت تتعلق به عاطفيًا قبل قدومها زميلته (وفاء) التي كانت واقعة في غرامه بل وتعشق التراب الذي يمشي عليه، إلا أنه وبالرغم من ذلك لم يكن يراها مناسبة له من

كل الوجوه، ولا ترتقي لمستوى طموحاته وآماله لتصبح شريكة حياته المستقبلية..

فهي متوسطة الجمال، ولو شئنا الدقة تكاد تكون دميمة، بالإضافة لكونها محدودة الذكاء، وفوق كل ذلك تنحدر من أسرة ميسورة الحال، وهو الذي كان يطمح في زوجة حسناء سليلة عائلة عريقة في نسبها، تعوضه عن فقدانه حنان الأبوين، على إثر حادث سير مروع أودى بحياتهما، تسببت به سيارة طائشة كان يقودها سائق أهوج مخمور، جعله يعيش مأساة اليتم، يُكابد العوز ويخوض مشقة الحياة وأزماتها وهو لا يزال في الخامسة عشر من عمره، لذا فهو في حاجة ماسة لمصاهرة عائلة ثرية تنتشله من فئة محدودي الدخل إلى مستواها الاجتماعي الراقي، وها هي أمنيته المستحيلة قد أوشكت على التبلور، بحلول قدره الجميل على مجرى حياته ليكللها بفرحة العمر..

وفي سبيل تحقيق أحلام الثراء السريع، بأن يرفل في حياة الدَعَةٍ ورغد العيش وامتلاك أسطول من السيارات الفارهة والثياب العديدة الفاخرة، لذا لم يتردد في التضحية والغدر بـ (وفاء) وجعلها كبش فداء، فأطاح بها وركلها خارج حياته بكل قسوة، وإبان ذلك أخبر(هيفاء) عن عزمه التقدم لطلب يدها للزواج، ولم يستغرق تفكيرها طويلًا حتى جاءت بالبشرى مُنذ بضعة أيام، بأن حددت له موعدًا لحضور مقابلة والدها، لتغمره سعادة الدنيا، وهو يستأجر الحُلَّةُ التي ستجعله نجم تلك الليلة الموعودة..

ليلة تحقيق الحلم..

انتزعه السائق بعنف من ثنايا جموح أفكاره، مع تنبيهه لوصوله إلى وجهته، بالضبط في الموعد المُحدد سلفًا، فارتجف جسده ارتجافة عنيفة، وئدها بسرعة وصدره يطلق تنهيدة حارة حملت كل ما يموج به من انفعالات ومشاعر شتى، فغادر السيارة واتجه نحو الفيلا الفخمة، ومن أمام البوابة العظيمة دق الجرس، وما هي إلا ثوانٍ وطلت خادمة فلبينية قادته إلى حيث ينتظره الجميع، دلف إلى داخل ردهة عظيمة المساحة، يدل أثاثها ورياشها على الثراء الفاحش، فُرشت الأرضية بالأبسطة الناعمة، تعتليها المقاعد المُذهبة الثمينة، والمناضد المزدانة بالزهريات الخزفية، والستائر المخملية المُسدلة فوق الأبواب والنوافذ..

تهلل وجهه بالبشَاشة، وهو يرى صحاف الحلويات المتنوعة، وصواني تحمل كؤوس العصائر والشربات تدور على الجالسين، لتتقافز فوق الوجوه اللامعة أقنعة من بهجة طارئة، ومن شفاههن تنطلق ضحكات ومداعبات ينثرنها على كل الموجودات، تواكبها بين الحين والآخر الزغاريد المتقطعة التي تسبح لتعانق الأضواء الملونة المبهرة، فتزيد من تصبب عرقه، وحُمرة خجله..

لم يجول في مخيلته قط أن كل هؤلاء المتأنقين في انتظاره، ولما لا فهو العريس وفارس الأحلام المُرتقب، وها هي ساحرة القلوب تجلس في خيلاء على أريكة وثيرة، في أبهى زينتها ترتدي فستانًا سواريهًا سيمونيًا مُطرزًا، تبتسم في سعادة غامرة، وهي تمد أصابع يدها اليمنى، ينفرج

المشهد قليلًا ليُفسح المجال لرجل وسيم الملامح طويل القامة، يجلس على يمين الكادر، لا ليس بطلنا من تظنه أيها القارئ الفَطِين.

بل هو رجل آخر تعانقه الغِبْطة والسرور سارع بوضع خاتم ذهبي في بنصر محبوبته(هيفاء) وهي ترمق(نديم) في تلك الأثناء بنظرات ساخرة وفوق شفتيها ضحكة عابثة مُفعمة بطابعي الشماتة والازدراء، وخطيبها يميل ليطبع على وجنتها قُبْلة رومانسية طويلة لتلتهب الأجواء بزغاريد مُجلجلة مُتصلة من الفرحة العارمة، فتيقن(نديم) آنئذ بأنه سقط كالغر الساذج في فخ مُحكم أُعد ببراعة من فاتنة ماهرة بحيل الخداع، ليتلقى أكبر صفعة مدوية في حياته الحافلة بالتعاسة، فشعر بأن كرامته اِنتُهكت، وكبرياءه اندحر لدرجة الإذلال..

ثم عمل (نديم) بعدستي عينيه زووم مُقرب على المنظر العام ليظهر بأقصى مدى، لتقع على أم رأسه الصدمة المفجعة التي أفقدته صوابه، فتسارعت أنفاسه، واعتراه إحساس أليم ببرودة قاسية تسري في أطرافه جعلت باقة الورد تنفلت من قبضته وتهوي أرضًا، وهو يبصر من وسط حشود المدعوين (وفاء) حبيبته السابقة..

تبدو في حالة مزرية ساهمة واجمة كأنما باغتتها رؤيته، أو ربما تستنكر وجوده في هذا المكان، فامتقع وجهها وغابت منه الدماء حتى حاكى وجوه الموتى، واغرورقت عيناها من خلف منظارها الطبي بدّموع حارة مريرة سرعان ما سالت، وهي تتوارى بعيدًا عن الأنظار.

لم ينبس(نديم) ببنت شفة، وبفؤاد مُحطم انسحب من الفيلا يجر أذيال الخيبة والندامة، وقضى ليلته يذرف الدموع حزنًا على ما آل إليه حاله

المتردي، وظل يبكي حتى جفت دموعه، وفي الغد كان قد اتخذ قراره الحاسم بالتماسك كالرجال الأشداء، وأن يزيح مؤقتًا من عقله فكرة الزواج، ثم يستعيدها بعد بناء مستقبله جيدًا، وتحقيق آماله بجني ثروة ضخمة، لذا ودون إبطاء قدم استقالته من عمله في الشركة، وقرر اقتحام سوق الدواء المصري تلبية لرغبة أحد أصدقائه القدامى..

في البداية عمل كمندوب مبيعات بسيط، وسرعان ما اشتهر بحسن سيرته وسلوكه، وفي الأعوام التالية راح نجمه يعلو أكثر فأكثر وينتقل من نجاح إلى آخر في تجارة الأدوية الرائجة، حتى قام بافتتاح شركة أدوية خاصة، ثم لم يلبث أن حصل على توكيل حصري لبيع مستحضر تجميل فرنسي شهير، وذاع صيته عالميًا في هذا المجال حتى بلغت شهرته الآفاق، فانضم اسمه إلى قائمة صفوة رجال الأعمال.

ومع مرور السنين فجأة ذهبت السكرة وجاءت الفكرة، لينتبه(نديم) إلى أنه في خضم انشغاله بتكوين مُستقبله، وانهماكه في عمله، نسى نفسه تمامًا، حتى أصبح على أعتاب الأربعين من عمره، ولا يزال يحيا وحيدًا في دنياه، ولم يُكمل بعد نصف دينه ويفوز بالزواج.

وفي إحدى الليالي القمرية زاره أبواه في المنام، جاءاه في حلم كانت تفاصيله تبعث على الراحة والسكينة، وفي الصباح انشرح صدره، وهو يذهب إلى المقابر ليدعوا لهما بالرحمة والمغفرة، ويقرأ لروحيهما الطاهرة الفاتحة، ويضع إكليلًا من الزهور فوق شاهد ضريحيهما إكرامًا ووفاءً..

وبينما هو يهم بترك المكان بكل صمته وجلاله، لمح عند مقبرة مجاورة فتاة ما..

كانت هي (وفاء)!..

قدره الجميل الذي وهبته حب العمر كله

ليلتقيا بلا استئذان..

ولما لا وقد سُطر الموعد باللوح المحفوظ في سالف الزمان!

فانفرجت أساريره ليسَلم ويستَسلَمَ للحقيقة المجردة من أي هوى..

بأنه يفر من قدر الله إلى قدر الله.

عندها أَوْصَدَ كل الأبواب، وأغلق جميع الملفات.

وقد رضى أخيرًا بقسمته ونصيبه.

وعقد العزم على أنه لن يترك(وفاء) أبدًا..

ستحيا في كنفه حتى يحين أجله.

بل وسارع بتحديد موعد للزفاف طبعه على بطاقات دعوة فرح أرسلها لأفراد عائلتيهما، وأصدقائهما المقربين، وأنتم كذلك مدعوين لحضور حفل الزواج السعيد.

أَلَمْ تصلكم الدعوة بعد؟!.

هوى الأسيرة

أخبروها أنه لص مُحترف أبرع حتى من (روبن هود)في اِستَطاعته أن يختلس الحب من القلب البريء، ويُبدل الفرح لحزن مرير، ويمحي الفكر من اللُّبُّ المُستنير، بل وتمادوا في وصفه ورسمه بصفات جعلته في مصاف الأساطير كنسخة مُحدثة من (زورو)، بل واقتران اسْمُهُ بالدهاء في غزو الأفئدة المؤصدة التي لم تلبث أن تلمح طيفه، وتتلقى قلاعها العتيدة سهام نظراته الفتاكة، حتى تتهاوى كل حصونها وتتجندل جميع أسلحتها الدفاعية لتصبح صريعة هواه بلا أدنى مقاومة تُذكر..

كانت إِحْدَى هؤلاء العاشقات الساذجات اللواتي نجح في اِصطيادهم بشِباك غرامه، لتُصبح مُتيمة وولَّهانة بسحره، وسرعان ما تخلل حبه شغاف قلبها بعد أن آسرتها وسامته المُفرطة، فلم تعد تبغي فكاكًا منه للحرية، فاستعذبت القيد، ليُصبح عنوانها وملاذها عينيه، وسعادتها تكتمل بلقائه، وأَمْسَتْ ترفل في نعيم جنته المستحيلة..

ومع بداية الرحلة راودها الشك في اِستِحالة أن تحمل هذه البراءة الخيانة لمن يأمن لها..

فمثله لا يعرف قاموسه مرادفات الغدر والخداع، كيف يتسنى ذلك وهو المُرادف للضياء، وبه يكتمل البهاء؟

ومن هنا راهنت قلبها أنه حبيب عمرها، جادلها عقلها فلم تنصت له، ولم تناقشه أَوْصَدَت كل الأبواب، وأغلقت جميع الملفات..

هو فقط طفلها الذي لم يُخلق سواه..

هو فتى قلبها الذي لم ولن يجود الزمان بمثله قط، هو قدرها الجميل الذي وهبها حب العمر..

لذا سلمت واستَسلَمَت، وكتبت كل نفسها باسمه وحده، له حرية البيع والشراء، وحق التصرف والتمسك.. تغيرت وتبدلت، وتنازلت عن قوتها وقسوتها، وقرارها وكرامتها...

إنها في الهوى قد تشكلت عصفورًا مغردًا في سماء العشق، لا سبيل لعودتها إلى أرض الفناء أبدًا..

ولا مجال للتعامل بنفس المفردات الرديئة..

(الخيانة والشك، والغيرة والغدر)..

وهنا صعد الحب سلالم السنين.. سنة، سنة ..

هو يهمس، وهي تسمع ...

هو يأمر، وهي تُطيع ...

حتى كبر الحب واستفاض...

هو يبتعد، وهي تقترب...

هو يقسو، وهي تصفو ...

هو يجرح، وهي تُضمد ...

وتوغل العشق وسيطر على وجدانها وكيانها، بل وسرق كل أوقاتها وأفكارها، وتوغل في ثنايا أحلامها، واحتلَّ مقاعد السلطة حَتَّى احْتَوَى على كل ما فيها..

ورويدًا رويدًا بات الآمر الناهي كفيروس خبيث تمكن من هدفه ثم أَعْلَنَ عن نفسه صراحة، وهنا اِنْكَشَفَتِ لها حقيقته جلية للعيان، وأَتَاهَا اليقين بعد أن غدا إعصار شر لا يطيق بهجة الحياة في ملامح الآخرين فيُدمرها..

فأصبح الفردوس بجواره جحيمًا مستعرًا، والفرار بعيدًا عن دربه هو الخيار الأمثل..

هو يكذب، وهي تعفو..

هو يخون، وهي تستيقظ ..

تُصدم، ترتج، تترنح ..

وتسقط من سماء الدنيا إلى أرض الواقع المرير بكل قساوته، لتخسر عمرًا ضاع هدرًا، ويربح عقلها ولكن بعد فوات الأوان، لتعتريها الدهشة وتتساءل كيف يبتسم وهو يغمد خنجر غدره في قلب أقرب الناس إليه؟!

كيف يبكي وهو يتلقى العزاء في ضحاياه المساكين؟!

وكيف لم تُصدقهم؟!

دعوة فرح

حياتها مثيرة للتأمل، جمالها أخاذ خلاب للأفئدة، صوتها عذب كترانيم صلاة، مشاعرها نقية صافية كطفل وليد لم تدنسه خطايا البشر، لطلتها مذاق خاص تألفه العيون ويستريح معها المجهد المكدود، ذكاؤها متقد أبرع من أحدث حاسوب تقني توصل إليه علم البرمجيات، أنوثتها طاغية كجذوة لا تخبو حتى لو غمستها في المياه المثلجة، والرمال الباردة..

لا تنازعها فاتنة تتباهى بجمالها إلا وتتولى مدحورة في السباق، إحساسها من النوع الذي لا يحتجب، حتى لو حاولت وحولت حياتها إلى قلاع حصينة محرمة..

لذا كان من المنطقي أن يتحول نطاق قلعتها العتيدة إلى منطقة ألغام، في كل لغم رجل يحاول بشتى الطرق والوسائل أن ينفجر في مشاعرها، ليرج قلبها ويفوز بها، لكنها ظلت دائمًا أقوى من كل الألغام، وكل خطط الحب التي حاولت أن تنال منها ..

لم يجسر يومًا أشجع العشاق على أن يخطب ودها، كانت دائمًا تضع القواعد من منظور فلسفتها الخاصة، وتُخضع الجميع لقبول شروطها، ولذلك كانوا يحتارون في فك شفرة مشاعرها حينها يدور السؤال في الأفلاك حائرًا يشتاق لمن يروي ظمأه للمعرفة:

هل تملك لبًا وفؤادًا كباقي البشر؟!
أم أن لها عقل وقلب ملاك من يوتوبيا الخيال؟!
تساؤلات وحسرات دارت بمخيلات العشاق الذين ظلوا بلا هدى في تيه الحيرة!
حتى هوت على رؤوسهم صاعقة مدوية أثارت موج القلاع وانهيار الحصون!
كان الفاعل معلومًا، وأهون مما كانوا يظنون، وحده استطاع ما لم يستطعه الأولون!
اقتحم كل الحصون، بجسارة وجنون برغم ضآلته في عالم خلق بالكاف والنون!
إلا أنه كان يحوز قلبًا يسع الكون كله بمدارات النجوم!..
لم يتكلف بما ليس أهله، ولم يتصنع هوى بديلًا لا يعتريه، ولم يزيف مشاعره بمشاعر دخيلة، ولم يختلق المبررات والحجج، ولم تجرفه الأهواء خلف ظنون سوداء تعكر صفو الأجواء قط، بل كان مباشرًا كالخط المستقيم، يعرف هدفه جيدًا بلا انحناء، ولما لا وهو الشطر الآخر من التفاحة التي كانت أصل الحكاية؟
لذا لم يكن من العجب أن يجد كل الأبواب الموصدة، وقد فتحت على مصراعيها!
فهو الفارس المنتظر الذي تناقلت سيرته الأساطير عبر الأجيال!

محرر المشاعر من جوف القلب الكامن، والذي كان يتأهب للقائه يومًا ما، وقد ترك له على نافذته الوردية لافتة خط عليها بدقاته جملة محددة:

{لك وحدك إذن المرور}

وقد كان ليلتقي المترادفان، شطرًا الحسان، بلا استئذان..

ولما لا يكون ذلك وقد أعد الموعد باللوح المحفوظ في سالف الزمان!..

لذا كانت الدهشة من نصيب العشاق المدحورين، عندما جاءتهم بطاقات دعوة زفاف الحبيبين المغرمين.

قبل الرحيل

الخط ليس جيدًا ولكن من يبالي بكيان مهمل مثلي، يلفظ أنفاسه الأخيرة؟
ولكن قبل رحيلي الذي بات وشيكًا أود أن أقص عليكم قصتي لعلها تشفع لي عندكم ..
وعند من أجرمت في حقهم ولتكن عظة، وعبرة لبني جنسي القادمون إلى الدنيا ليضعوا فيها بصمتهم ..
ولأجل ألا يسيروا على نفس دربي وجب عليَّ نصحهم..
ومع استرجاعي لشريط حياتي ..
أجدنى وقد ولجت الدنيا تتلقفني الأيادي بحبور طاغي ..
حتى وجدت نفسي بين عشية وضحاها كم مهمل، ملقى على جانب طريق زاخر بالبشر ..
فالتقطني أحدهم وكان يحيا وحيدًا فأواني في بيته وحيث ما كان يمضي كنت ألازمه كظله
فتعلق بي، وتعلقت به ومع مضي الأيام عرفت حقيقته المفزعة بكونه مزور محترف..
عندها تيقنت من أن حظي العاثر هو ما أوقعني بقبضته من دون سائر البشر..

وكتداعٍ طبيعي لحياتي الجديدة خضت مرغمًا نفس مساره
إلى مستقبل رسمه لي في طريق الشر المشين
حينما أجبرني على إبرام العقود المزيفة ممهورة بتوقيعات تضاهي الأصلية
علمني كيف أصوغها بحرفية، وبراعة فائقة ليكون النتاج بأن يزج بأناس أبرياء خلف القضبان
وأحيان أخرى تأتي المحصلة بشجار دامي ينشب بين الأخلاء.
عندها كانت المرارة، والألم يعصفان بكياني على ما كان يحدث وأكون سببًا مباشرًا لحدوثه.
فطيلة حياتي المليئة بكل صنوف الظلم والقهر كنت أهون من بيت العنكبوت في مقاومة هذا المستبد، لقد حاولت مرارًا أن أضرب عن العمل معه ولكن هيهات لم يجدِ ذلك مع صاحبي الذي كان رد فعله حينئذ عنيفًا
إلى أقصى حد بثورة عارمة، وتهديد بالاستغناء عن خدماتي.
بل وصل الأمر إلى التمادي بإرهابي والتلويح بتصفيتي جسديًا
يا لقسوة قلبه! الذي قد من جلمود صخر لهذا كنت أبغضه كمقت الإنسان للسعير.
والآن بعد أن هرمت ولذلك لم تعد لصاحبي منفعة مني لهذا أهملني، وانطلق يبحث له عن رفيق جديد
ليتركني وحيدًا أوشك على مفارقة دنياكم.
ومع زفرات الوداع وجب على تقديم اعتذار

من كيان يحتضر إلى كل إنسان أخطئت يومًا في حقه وكنت سببًا في شقائه وتعاسته.

ببالغ الأسف والأسى من كل قلبي أناجيه بأن يصفح عني على كل ما بدر مني تجاهه..

فلقد كنت حقًا مسلوب الإرادة مجبرًا لا مخيرًا..

لذا لم يكن لي الحيلة من أمري

فلقد كنت كما يقولون

(مثل الخاتم في الإصبع)

لأنني وبكل بساطة

مجرد قلم حبر

نفد حبره..

القسـم الخامس

شـئ من العلم

قصة الكون

الفضاء ذلك الكيان السرمدي الخلاب، سيمفونية الكون الأزلية، تلك التي عُزفت بإتقان مُطلق من مبدع خلاق لا يغفل ولا ينام، حيث لا توجد نوتة واحدة في غير موضعها، بتكوينه الضخم الذي يتألف من الكواكب والنجوم بالإضافة إلى الكويكبات والمذنبات، حتى آلاف الملايين من المجرات التي تسبح في الفضاء الشاسع من حولنا..

والمجرات هي الوحدات الأساسية للكون، تعرف بأنها تجمع هائلًا من النجوم والغاز والغبار الكونيين تتخللهما مجالات مغناطيسية وكهربية جبارة، ولقد تمكن علم الفلك حديثًا من تصنيف المجرات لثلاثة أنواع بالنسبة لشكلها..

(المجرات اللولبية، والمجرات البيضاوية، والمجرات غير المنتظمة)

وتدل الإحصاءات الفلكية أن حوالي ٧٨٪ من المجرات لولبية و١٨٪ بيضاوية و٤٪فقط غير منتظمة، وهذه البلايين من المجرات تمخر عباب الفضاء بسرعة رهيبة، وتتواجد في حشود كثيفة، قد يبلغ عدد المجرات فيها عشرة آلاف، أما المجموعة التي تنتمي إليها مجرتنا، يطلق عليها المجموعة المحلية، وتتكون من ثلاثين عضوًا، وأكبر مجرات المجموعة المحلية هي (أندروميدا) وقطرها ١٣٠ ألف سنة ضوئية، وتحتوي تلك المجرة الضخمة على نحو ٣٠٠ بليون نجم،

أي ثلاثة أمثال عدد النجوم في مجرتنا، وهي تقابلنا في الطرف الآخر من مجرات المجموعة المحلية، وتبعد عنا بحوالي مليوني سنة ضوئية، وأقرب المجرات إلينا مجرتان اثنتان مستقلتان بذاتهما هما (سحابتا ماجلان)، الصغرى (قطرها ٢٥ألف سنة ضوئية) والكبرى(قطرها ٣٢ألف سنة ضوئية)..

ومجرتنا درب التبانة، هي مجرة حلزونية الشكل وسبب تسميتها بهذا الاسم جاء من تشبيه عربي، حيث رأى العرب أن ما يتناثر من التبن الذي كانت تحمله مواشيهم كان يظهر أثره على الأرض كأذرع ملتوية تشبه أذرع المجرة، ويمكن لأهل الأرض رؤية هذه المجرة، وما تحويه من نجوم في الليالي الصافية بوضوح فتبدو نجومها متلاصقة رغم بعد المسافة بينها، فتعطي لونًا أبيض هادئًا يظهر في شكله كاللبن المسكوب، لذلك سميت بالإنجليزية (Milkyway) أو الطريق اللبني..

ولقد قدر العلماء عمرها بين ٢١إلى ٤١ مليار سنة، ورغم ذلك فهي تعتبر حديثة العهد مقارنة بغيرها من المجرات، وتتكون من ٤٠٠ مليار نجم، يقدر طول قطرها بحوالي ١٠٠ ألف سنة ضوئية، تكمل دورة واحدة حول نفسها كل ٢٥٠ مليون سنة، ويدور حول مركزها شمسنا، التي تبلغ كتلتها ٩ ,٩٩٪من كتلة النظام بأكمله، كما أنها تشع الضوء والحرارة لكواكب النظام الشمسي الثمانية، وهي بالترتيب حسب البعد عن الشمس..

(عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ(الكواكب الصخرية)..

والمشترى وزحل وأورانوس، ونبتون(العمالقة الغازية)..
وبفضل إطلاق تلسكوب الفضاء (هابل) في عام١٩٩٠م الذي يعد عين هائلة تنظر إلى الكون من على ارتفاع نحو ستمائة كيلو مترًا من سطح الكرة الأرضية تمكن العلماء من رصد الثقوب السوداء وأشباه النجوم تلك الأجرام الفضائية الغريبة الرابضة عند حافة الكون الذي يمتد بلا نهاية، ويبلغ عمره حوالي ١٤ ألف مليون سنة..
ولقد اختلفت الأقاويل وتضاربت حول كيفية نشوء الكون، وكان الاختلاف قديمًا حول هل الكون له بداية أم أزلي!
وظلت تلك النظريات في حدود التصورات الفلسفية حتى قام نابغة القرن العشرين العالم الفيزيائي الفذ (ألبرت أينشتاين١٨٧٩م ـ١٩٥٥م) والذي أدى ولعه بالعلوم الرياضية البحتة، إلى التحرر من قيود المكان، وأبعاده الثلاثة إلى بُعد رابع هو الزمن، ليقوم بنشر أولى نظرياته الخاصة عن النسبية في عام ١٩٠٥م، ثم تبعها بقنبلة الاكتشافات المدوية بحق عندما حل معادلات نظريته النسبية العامة، وقام بإعلانها على الملأ في عام ١٩١٦م، لتؤكد النتائج أن الكون يتوسع، ولعل جوهر نظرية النسبية العامة هو أن وجود المادة في الكون يغير شكل الفضاء، ويخلق مجالًا مقوسًا للجاذبية، وأن القصور الذاتي يجعل المادة تقاوم التغيرات في اتجاه حركتها وهذا ما جعل الأجسام الفضائية تتخذ أشكالًا كروية، ومدارات بيضاوية..
وقد أكد العالم (ألكسندر فريدمان) في عام ١٩٢٢م صحة هذه النتائج بأن الكون يتمدد وليس ساكن، وفي الثلاثينيات طرحت نظرية الانفجار

العظيم التي تنبأت بأن الكون نشأ من انفجار هائل لنقطة بالغة الدقة تحتوي على كل مادة وطاقة الكون، وعبر مليارات السنين أخذت مادة الكون في التمدد، وتكوين المجرات والنجوم وكل الأجرام الكونية، وتعتبر نظرية الانفجار العظيم من النظريات المقبولة حاليًا في أوساط المجتمع العلمي حول نشأة الكون، وذلك نتيجة ظهور عدد من الأدلة التي أثبتت صحة النظرية، ولكن ما زال العلماء يتساءلون عن كيفية تكون هذه النقطة التي شكلت الكون.

ولقد اصطلح علماء الفلك على استخدام السنة الضوئية معيارًا خاصًّا لقياس المسافات بين الكواكب والمجرات، وتعرف السنة الضوئية بالمسافة التي تقطعها أشعة الضوء في السنة الواحدة فإذا عرفنا أن سرعة الضوء تبلغ ٣٠٠٠٠٠ كم/ثانية فإن ذلك يعني أن السنة الضوئية تساوي مسافة ٩٤٠٠ مليار كم، ولضرب مثال على ذلك فإن المسافة بين الأرض والشمس تقارب ١٥٠ مليون كم وهذا يعني أن أشعة الشمس تستغرق ثماني دقائق وثلث للوصول إلى الأرض.

وما النجوم التي نراها ساطعة في السماء إلا شموس تسبح في الفضاء الكوني، وتعد بالبلايين حوالي ١٠٠بليون(ألف مليون)نجم، تنتمي فقط لمجرتنا..

وأخيرًا وليس آخرًا نأتي للغز الألغاز في الكون بالنسبة لعلماء الفلك، والذي أتت به التوقعات المثيرة للنظرية النسبية العامة لأينشتين بوجود ما يسمى بالثقوب السوداء..

فعندما يموت نجم ضخم تنهار مادته وتنكمش فيصبح أصغر من حجمه الأصلي بملايين المرات، أي أن الفراغ في مادته يقل كثيرًا، وتتجمع المادة مع بعضها، وهذا يجعل جاذبيته تزيد زيادة هائلة، حتى أنها تمنع كافة الجسيمات داخله من الانفلات إلى الخارج، كما أنها تجتذب إلي أي جسم فضائي يمر بالقرب منه، وحتى فوتونات الضوء تنجذب إليه وتنحبس داخله، فيبدو أسودًا..

والأمر الغريب أن النجم الضخم عندما يموت، ويصبح ثقبًا أسودًا يبقى هناك بكل كتله المتكدسة، بالرغم من أن حجمه أصبح ضئيلًا جدًا، كما أنه يحيط نفسه بمجالات جاذبية رهيبة، وهالة سوداء لا يخرج منها أي ضوء، أو حركة، أو مادة، لا شيء على الإطلاق سوى السكون والظلام، وحتى الزمن يبطئ، وتكون لدى الثقب الأسود قدرة مروعة على صنع دوامة رهيبة قادرة على التهام الكواكب والنجوم التي تدخل في نطاق جاذبيته، وكأنه مكنسة كهربائية كونية جبارة..

لتنتقل عن طريق (النفق الكوني) إلى مكان آخر في الكون، يعرف بالثقوب البيضاء، وتنبثق منه في شكل متدفق كوني يطلق طاقة مروعة.

وإذا جذب ثقب أسود أية سفينة فضائية قد يوقعها حظها العاثر بالقرب منه، ويطلق على هذه الظاهرة(أفق الحدث) فإنها لن ترتطم بسطح الثقب الأسود بل سيلتهمها بسرعة هائلة بفعل مد وجذر الجاذبية اللا نهائية في مركزه..

وقد جزم بعض علماء الفلك حديثًا بوجود ثقب أسود في مجرتنا، وكتلته ربما تكون قدر شمسنا ملايين المرات، كما أنه يلتهم النجوم

التي تدور بالقرب من أفق حدثه بمعدل يبلغ حوالي ٣٠ كتلة شمسية كل عام..

وهناك أدلة مؤكدة على أن أحداثًا عنيفة تجري في مركز مجرتنا، وفي أواخر شهر مايو عام ١٩٩٤م تمكن تلسكوب الفضاء (هابل) من رصد أول ثقب أسود ليؤكد حقيقة وجود هذه الظاهرة المدهشة، وذلك في مركز مجرة(م٨٧) في مجموعة (العذراء) والتي تبعد عن الأرض بخمسين مليون سنة ضوئية.

ولا يزال علم الفلك يرصد بانبهار بالغ أسرار واكتشافات حديثة عن الكون، تتجلى فيها حكمة الخالق وعظمته، في برهان جازم على صنع الله الذي أتقن كل شيء.

عصر الليزر

من منا لا يعرف الضوء؟!

إنه تلك الطاقة الصافية التي تمنحنا إياها الشمس في النهار، ويداعبنا ويدغدغ مشاعرنا بها القمر في الليل، ونبتكرها نحن بوسائل شتى بداية من الشموع التي تشتعل بالنار، والغاز والبترول اللذان استخدمهما الإنسان كوقود لتشغيل المصابيح البدائية بالكيروسين، كان هذا قبل أن يخترع العالم الأمريكي البارع(توماس أديسون)المصباح الكهربائي في عام ١٨٨٠م ليغير باختراعه وجه العالم قاطبة، والذي اعتمد منذ ذلك الحين اعتمادًا كليًا على المصابيح الكهربائية، التي تبدد الظلام في المنازل وأماكن العمل ونوادي الترفيه، وصولًا إلى أشعة الليزر التي تلهب خيالنا في أفلام الخيال العلمي، والتي تعد من أفضل اختراعات العصر الحديث.

وقد أطلق العلماء على هذه الأشعة الفريدة اسم الليزر، وكلمة(LASER)هي اختصار لعبارة إنجليزية معناها..

(تضخيم الضوء من خلال الانبعاث المثار للإشعاع)

Light Amplification by Stimulated Emission of)
Radiation)

وهذه العبارة تصف بدقة بالغة ما يحدث داخل جهاز الليزر، ولتبسيط الأمر دعونا نتخيل ألف ملاكم يوجهون قبضاتهم في آن واحد إلى شخص ما.

هل يمكن تصور قوة الضربة؟

هذا بالضبط ما فعله العلماء عندما جمعوا كل طاقة وفوتونات الضوء التي تكفي لإضاءة صالة كبيرة في شعاع واحد رفيع عن طريق تمرير الضوء القوي عبر قطعة من الياقوت وباستخدام مجال مغناطيسي غير منتظم، بالضبط كما تجتمع قبضات الكل في ضربة واحدة، بحيث خرج هذا الشعاع وكأنه الضوء القوي كله في حزمة مركزة متماسكة من نوع خاص تبلغ شدة حرارتها درجة يمكنها صهر ألواح الصلب السميكة بسرعة ودقة، وتصل قوة لمعانها حدًا لا يستطيع الإنسان النظر إليها بالعين المجردة..

وتبلغ الدقة المتناهية لأشعة الليزر بحيث لا تتجاوز الحزمة سمك شعرة الرأس.

المدهش في الأمر حقًا هو أن الليزر ليس اختراعًا حديثًا كما يتصور البعض فقد كان العالم الفيزيائي الشهير (ألبرت أينشتاين) هو أول من أشار إليه في عام ١٩١٧م ثم جاء العالم الأمريكي (تشارلز هـ.تاونز) ليصنع ما عرف باسم (الميزر) والذي تطور فيما بعد ليصبح أشعة الليزر على يد بني جلدته (تيودور هـ.مايمان)في صيف عام ١٩٦٠م ومنذ ذلك الحين والليزر يتطور ويتطور حتى صار اليوم قاسمًا مشتركًا في معظم المخترعات الحديثة، والأجهزة المنزلية المتطورة..

ولليزر استخدامات عملية عديدة، وحتى أجهزة الكمبيوتر هي أيضًا مجرد ضوء، ولكن العقل البشري عمل على تطويره ليصنع منه ذلك الشعاع الرفيع الذي يتراقص في نعومة مع إيقاع الموسيقى في صالات الديسكو ويشكل به صورًا هولوجرافية مجسمة ذات أبعاد ثلاثية، تجعل الناظر إليها يخيل إليه أنه ينظر لشيء مجسم في استطاعته أن يدور حوله ليشاهده من كافة الجوانب، ويستخدم شعاع الليزر في مجال الاتصالات ونقل المحادثات الهاتفية بواسطة الألياف البصرية فهو مثل موجات الراديو قابل للتحميل بكميات هائلة من المعلومات نظرًا لتردده الموجي العالي، ويتم عن طريق توجيهه من برج مرتفع إلى برج آخر يبعد عنه مئات الكيلومترات، ليمكنه من إرسال الرسائل المحمولة في كسر من الثانية، هذا لإمكانية تغيير حزمة الضوء عدة ملايين المرات في الثانية الواحدة، ويمكن تسجيل الموسيقى، والمعلومات فوق أقراص بصرية مدمجة، وكذلك يستخدمه الأطباء في إجراء العمليات الجراحية الدقيقة في العيون بالليزك وتثبيت شبكية العين، وإزالة الأورام السرطانية الخبيثة من الجسم، فحزمة الليزر تستطيع الشق والبتر بدقة أفضل من أشحذ المشارط الحادة، ويساعد أيضًا الخلايا المصابة على الالتئام بسرعة، دون تعرض الأنسجة المجاورة للتلف، ويستخدم الليزر في المصانع ويقوم بعمليات قطع وتثقيب وتشكيل المعادن، ولأن طاقة الليزر رهيبة ومروعة إلى حد إطلاق طاقة تعادل طاقة الشمس، لذا بإمكانها تدمير الأهداف المعادية في الفضاء والحروب بأقصى درجة من الدقة، باستخدام الأجهزة

الليزرية في توجيه الصواريخ، والقنابل عن بعد إلى الهدف المراد قصفه وتفجيره، ولأن الليزر يمر في حزم متوازية ضيقة فيمكن إرساله من الأرض إلى القمر أي حوالي ٤٠٠;٠٠٠كيلو مترًا فلا تضئ سوى مساحة يبلغ قطرها حوالي ثلاثة كيلو مترات فقط.

كل هذا غيض من فيض لاستخدامات الليزر في حياتنا اليومية، والتي لا تعد ولا تحصى، ليؤكد قطار التطور العلمي أنه لا يتوقف أبدًا، وسيظل في تقدم دائم، ولن يكون اختراع الليزر آخره، بل سيواصل إبهارنا، وهو يأتي باختراعات جديدة مع توصل العقل البشري إلى اكتشاف أسرار العلم اللا نهائية.

المريض الآلي

قاعدة الحياة الأزلية تؤكد على أن الجنس البشري، بل وجميع المخلوقات بلا استثناء تمرض وتموت، وحتى الآلات والإليكترونيات التي صنعها البشر، ولا يحتوي كيانها كله على خلية واحدة حية، تدخل ضمن هذه القاعدة الوجودية الشاملة، ومعرضة هي الأخرى للمرض.

فمن الجائز أن يصاب جهاز كمبيوتر مسكين بفيروس خطير يتسلل إليه على حين غفلة منه، وذلك الفيروس الضار ليس فيروسًا بيولوجيًا كتلك الفيروسات التي تسبب لنا السعال، والزكام، والأنفلونزا، أو حتى ارتفاع درجات الحرارة، والجُدري، وشلل الأطفال والعياذ بالله، بل إنه فيروس يناسب طبيعة جهاز الكمبيوتر نفسه، فهو عبارة عن برنامج خبيث محدود كحصان طروادة تقتصر مهمته على إقحام نفسه في برنامج من برامج الكمبيوتر الرئيسية، ووحدات تشغيله الأولية عبر بوابة خلفية، ثم يطوق نظام الحماية الدفاعي، وينجح في شل حركته، وينقض ليقتحم قلب الأيقونات والملفات ويسيطر عليها ليمحو ذاكرتها أو يتلفها، أو يصيبها بنوع من الجنون، يجعلها تمحو ما لديها من معلومات مختزنة، أو حتى وثائق سرية، ويحل محلها برنامجًا بسيطًا بلغة الكمبيوتر الثنائية ذات الرقمين صفر وواحد.

وفيروسات الكمبيوتر من صنع وابتكار نوع عجيب من عباقرة البشر الذين يتصورون أن علومهم ومعارفهم هي وسيلة للشر والتدمير، وليست نعمة وهبة من الله عز وجل. ينبغي أن يفيد العالم كله بها، وتبريراتهم في هذا الشأن غريبة للغاية، إذ أنهم يعتبرون ابتكارهم لفيروسات مبرمجة جديدة ذات قوة تدميرية أكبر هو نوع من التحدي الذي يحفز طاقاتهم ويفجر مواهبهم!

وقد بدأت اللعبة المريضة عندما أطلق المخترع الأول لفيروس الكمبيوتر المهندس الأمريكي (فرد كوهينfred cohen)- المولود في عام ١٩٥٦م فيروسًا للكمبيوتر محى به الذاكرة الإليكترونية لكل بنوك المعلومات الاقتصادية عبر شبكة البنوك الأمريكية وذلك باختراعه أول فيروس كمبيوتر في عام ١٩٨٥م ليتسبب اختراعه المدمر في إتلاف الأجهزة الحاسوبية لملايين من الأشخاص، ولقد تحدث عالم الكمبيوتر الشاب (فرد كوهين) عن الفيروسات خلال مشروع تخرجه من جامعة جنوب كاليفورنيا، حيث ناقش في رسالته برمجيات الاستنساخ الذاتي التي كانت بداية لاختراع الفيروسات، التي تنسخ نفسها على كمبيوترات الضحايا، وكان أول فيروس كمبيوتر اخترعه يسمى:

(Parasitic Applicatino)

والذي يستطيع أن يسيطر على أي حاسب شخصي، وكان بإمكانه أن يدمره بالكامل، والعجيب أن عالم الحاسب الآلي هذا لم يتلق عقابًا مناسبًا آنذاك لأن القانون الأمريكي أيامها لم يكن يحوي نصًا يجرم

تلك الفعلة القبيحة، التي لا مثيل لها على عكس القانون في أيامنا هذه، والذي يعتبرها جريمة نكراء ويوقع عليها أشد العقاب.

كما ظهرت عشرات البرامج، ومضادات الفيروسات التي تتقي وتعالج تلك الفيروسات الخبيثة، ولكن حتى هذا لم يمنع أصحاب السوء من ابتكار المزيد والمزيد من الفيروسات المبرمجة الضارة، والبحث عن السبل الملتوية لبثها إلى أجهزة الكمبيوتر المختلفة، والغريب والمذهل حقًا في مسيرة حياة (فرد كوهين) أنه يمتلك الآن شركة تعمل في مجال حماية المعلومات على الحسابات الشخصية، ليسير بذلك على نهج ودرب العالم السويدي الجنسية(ألفرد نوبل٢١ أكتوبر ١٨٣٣م – ١٠ ديسمبر ١٨٩٦م)، الذي أراد أن يصحح أخطاء الماضي، ويكفر عن ذنبه باختراعه الديناميت في سنة ١٨٦٧ ملذا أوصى قبل رحيله بأن تؤول معظم ثروته التي جناها من الاختراع المدمر إلى جائزة عالمية تُمنح سنويًا، وحتى يومنا هذا لشخصيات مرموقة تخدم البشرية، دون تمييز لجنسية الفائزين، تمنح الثلاثة جوائز الأولى في العلوم الطبيعية، والكيمياء، والعلوم الطبية، أو علم وظائف الأعضاء، وتمنح الجائزة الرابعة للأعمال الأدبية "في اتجاه مثالي"، والجائزة الخامسة تمنح للشخص أو المجتمع الذي يقوم بأكبر خدمة للسلام الدولي، كالحد من الجيوش، أو في إنشاء أو تعزيز مؤتمرات السلام، وتلك الجائزة القيمة تسمى باسمه..

جائزة نوبل..

﴿اِمتِنان وعرفان بامتياز لأَصْحَاب الفضل العُزَازَ﴾

*إلى من نثرا في مشوار عمري زهور المحبة والوفاء، فجعلا البسمة لا تفارق الشِّفاه، فضيلة الشيخ الجليل (أحمد هاشم البهنساوي) صهري ومُسند ظهري، ذو الوجه البشوش، والنِّيَّة الصافية، الذي يُعد وبحق بمثابة أب لم ينجبني، بل أهداني إياه قدري الجميل لأحيا في كنفه مثل ابنه بالضبط، فيدعمني ويساندني ويزود عني ضد نوائب الدهر بالغالي والنفيس.

*وإلى أروع ما في حياتي، حماتي الملاك الحنون، التي ما فتأت تفعل ما في وسعها حتى أكون مطمئنًا سعيدًا، يشهد الله أني أُحبكما وأحترمكما وأُقدركما، ولكما في قلبي منزلة الأبوين تمامًا، فشكرًا جزيلًا للمولى عز وجل لكونكما جزءًا أصيلًا في حياتي، تسكنا مخيلتي، وفي قلب وجداني دائمًا.

***

﴿شكر خاص جدًا﴾

امتناني الجزيل لأستاذي الغالي الذي أفخر بشدة وأتشرف للغاية بصداقته، ومن فرط أدبه الجم، ونُبل وسمو أخلاقه، أستمد سمات أبطال رواياتي، المطرب الأسطوري الوسيم، ذو التاريخ الغنائي الحافل بألبومات خلابة متميزة، كل ألبوم يُعد بمثابة علامة فارقة في مشوار حياتي، شكل وجداني بأغاني لا تُنسى مُطلقًا، وأخُص بالذكر الثلاثية الفريدة الخالدة للأبد...

﴿سوسنة، أمير العشق، جايلك﴾

روائع تدوم في الذاكرة طويلًا.

لصاحب الصوت الرخيم الخيالي..

﴿فارس الجبيلي﴾

سلام يا أغلى الحبايب *** سلام يا حاضر وغايب.

****

﴿رثاء﴾

(حبيبي غاب يا قمر الليل وغاب وياه منامي..
أمانة عليك يا أبو المواويل توصله سلامي)

الخامس والعشرين من نوفمبر عام ألفين وتسعة؛ هذا التاريخ الحَزِين لن يبرح ذاكرتي أبدًا ما حَيِيتُ؛ ففي ذلك اليوم الأربعاء الكئيب فقدت أعظم وأحب إنسان في الوجود إلى قلبي، بعد سيّدنا النَّبِيُّ محمّد ﷺ، من لو أُعدد مَنَاقبه فلن يكفي الدهر كله، فلا أزال أتذكر أيامي الخوالي وبهجتي برفقته، فصوته وصورته لا يزالان عالقان في مُخَيِّلتي وسيظلان كذلك حتى نهاية العمر، فإلى لقاء آخر يجمعنا سويًا بإذِن الله تعالى في جَنَّة الخُلد يا أغلى الحبايب، يا حاضر وغايب، أيُها الأخ والصديق والأب الحنون..

الراحل المرحوم المغفور له بأمر الله تعالى (عبد المقصود).

اِبنك / راضي.

***

﴿نبذة عن إصدارات المؤلف﴾

* راضي عبد المقصود السيد محروس.

* مؤلف وروائي مصري شارك في عدة كُتب جماعية..

*صدرت روايته الأولى (لحظات حرجة) عن دار إِبداع عام ٢٠١٤م.

*وكذلك رواية (مقبرة الغموض) عن دار السعيد عام ٢٠١٨م.

﴿للتواصل مع الكاتب﴾

radiabdo.radiabdo@yahoo.com
facebook.com/RadyAbdElmaksoudElsaed

الفهرس

***

القسم الأول – رعب

١ – لعنة الدم ١

٢ – رجفة الخوف ٢١

٣– قناع الموت ٣٩

٤ – ملاك و شيطان ٥٧

القسم الثاني – خيال علمي

١ – و جاءت الكارثة ٧١

٢ – عين السماء ٨١

٣- ناقوس الخطر ٩٣
٤ – نقطة الانفجار ١٠٣

القسم الثالث – اجتماعي

١ – دم الشهيد ١١٧
٢ – هذا المساء ١٢٥
٣- مأساتي ١٣٣
٤ – أنين الذكريات ١٤٣

القسم الرابع – رومانسي

1 –ذات ليلة ١٥١
2 – فتاة أخرى ١٥٧
3 – رصيف الهوى ١٦٥
4 – قسمة و نصيب ١٧١

5- هوى الأسيرة ١٧٩
6- دعوة فرح ١٨٣
7- قبل الرحيل ١٨٧

القسم الخامس- شئ من العلم

١ - قصة الكون ١٩٣
٢- عصر الليزر ٢٠١
٣- المريض الآلي ٢٠٧